

المعاصرة في ملائكة الأطالة

الأساف / لذور العذري



الطبعة الأولى

١٤٠٧ - ١٩٨٧ م

دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(المدخل)

ترددت كلمة الأصالة والمعاصرة على كل الألسنة دون أن يدرى المتحدثون أنهم يسقطون في فخ كبير أعده لهم التغريبيون ، ودون أن تجتمع كلمتهم على تفسير واحد للمصطلحات فما هي الأصالة وما هي المعاصرة ؟ وفي الحقيقة أن المعركة الجديدة هي امتداد لمعركة ممتدة منذ وقت بعيد جرت تحت اسم التجديد والقديم ، وتحت اسم المعاصرة والجمود ، وتحت اسم التراث والوافد ، وهناك من يطرح بديلاً لكلمة (الأصالة والمعاصرة) عبارة : التراث والمعاصرة ، والمعنى لم يتغير ، وولاء العلمانيين الماديين لفكرة الذين يصدرون عن عقليات مغربة لا تستطيع فهم الإسلام إلا على ضوء الفكر الغربي اليوناني والمسيحي ، تحاول أن تخفي حقدها وراء كلمات خادعة ولو أنها أفصحت لقالت (الإسلام) بديلاً عن القديم وعن التراث ، ولو صفتة بالجمود والرجعية والتخلف ، ولكنها تخشى المواجهة ولذلك تلجم إلى المواربة والخداع ، بل إن الحملة على اللغة العربية هي في حقيقتها حملة على القرآن الكريم ، لا يستطيع القائمون بها أن يجهروا بذلك فيخفون أهدافهم وراء عبارات تثير المشاعر ، ولكن المضامين التي يقدمونها تكشف بوضوح عن الأحقاد التي تكتنها الصدور : صدور مجموع من التغريبيين والشعوبيين والماديين يحاولون أن تتطوى صفحة هذا المصدر الحقيقي لوجود المسلمين والعرب ، مصدر الجذور والتابع التي هي أساس البناء الحضاري الذي لا يمكن أن تعود نهضة المسلمين إلا على أساسها .

إن كلمة التراث كلمة مهومه ملغومة يراد بها أن يصبح الإسلام تراثاً أشبه بتراث الأمم المعاصرة وجماع أساطيرها وفلكورها وموروثاتها القديمة فيت忤 منه ويترك ولكن الذين استعملوا كلمة التراث في مواجهة المعاصرة نسوا الفوارق العميقه بين مصطلح التراث في الغرب ومصطلح التراث في الإسلام ونسوا أن تراث الغرب هو مجموعة كتابات كتبها بشر سواء أكانوا من أتباع الأديان أم من أتباع الأيديولوجيات ومن ثم فإن كلهم يؤخذ منه ويترك ، أما بالنسبة للإسلام فإن هناك شيء قائم كالنار لا يمكن أن يوصف بأنه تراث هو (القرآن والسنة) وهذا هو ميراث المسلمين الأصيل الذي حفظ الله ما أنزل منه وهو القرآن الذي وصفه الرسول الكريم بقوله : لقد أوتيت هذا الكتاب ومثله معه .

هذه هي هدية السماء إلى الأرض والنص القدسي المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والأصل الموثق ، كيف يمكن أن يصفه بضعة شعوبين وعلمانيين بأنه تراث ؟ !

نعم هناك التراث وهو ما كتبه الفقهاء والعلماء والمفسرون ، وهذا ما يمثل تجربة الأجيال التي ينضم إليها التاريخ الذي هو بمثابة التطبيق لنظام الله وهذه فيها الخطأ والصواب وفيها ما يصلح للاقتباس وما لا يصلح . ومن هنا يتبيّن أن طرح القضية على هذا الوجه هو طرح له طابع التمويه ومحاولة الخداع والغش .

ومعنى الأصالة : العودة إلى الأصل ، إلى المتتابع ، ونحن كمسلمين لا نستطيع أن نبني إلا على أساسنا الأصيل ولابد أن نعود إلى القاعدة الإسلامية الأساسية التي بني عليها هذا المجتمع منذ خمسة عشر قرنا فإذا وضعناها في مكان الحكم والاحتكام دخلنا مرحلة المعاصرة على ضوء كاشف ، ذلك أننا لا نقر تلك الكلمات المسمومة

والخادعة التي تتقول بأننا يجب أن نكون معاصرين أي نسایر العصر ، أو قولهم أن يعيش الإنسان عصره ، نعم يعيش المسلم عصره على قاعدته الأساسية ولا يضحي بالضوابط والقيم والحدود التي رسمها له دينه والتي قام عليها المجتمع الإسلامي من أول يوم وبنية الحضارة الإسلامية على أساسه لا يضحي بذلك أبداً في سبيل الجري وراء سراب خادع اسمه المعاصرة أو الحداثة أو التقدم .

إن للتقدم في الإسلام مفهوماً جاماً ، يجمع بين المادي والمعنوي ، ولنا في الفن مفهوم أساسى وهو غلبة الأخلاقى على الجمالى ، ودون تضحية بالأخلاقي من أجل الجمالى .

إن للمسلمين قاعدة أساسية : هي جوهر الأصالة تلك هي (ربانية الوجهة في بناء الإنسان والأسرة والجماعة والمجتمع والحضارة) وتلك هي قصة الحضارة المعاصرة والمجتمع الغربي اليوم بشهادة كبار كتابه .

إتنا نؤمن بأخلاقية الحضارة والمجتمع وبالالتزام الفردي والمسؤولية الأخلاقية وبالحساب والجزاء وهو ما تدركه الحضارة الغربية والمجتمع الغربي فكيف يمكن أن قبل أطروحة أو (إرجانون) مخالف ، هو في ذاته ناقص وقاصر لأن الفكر الغربي كله يجري في إطارين يرفضهما الإسلام : الانشطارية ، والمادية .

فالمنهج الإسلامي والأطروحة الإسلامية والارجانون الإسلامي يقوم على أساس التكامل بين القيم ويجمع بين المادية والروحية في الكيان المتكامل .

ونحن في (المعاصرة) لنا حق الاختيار ، فلا يفرض علينا من الغرب شيء وحاجتنا الأساسية كلها في العلوم والتكنولوجيا وكل

ما نختاره هو المادية ، ولنا أن نصرها في إطار وجودنا وعقيدتنا .

ونحن أمة لها حضارة أضاءت العالم ألف عام ولنا منهج رباني جامع ، ومن ثم فنحن لا يجوز لنا أن تكون مستعبدين أو مقلدين أو تابعين ولا يمكن أن نقع تحت سيطرة حضارة كانت منتفقة وهي الآن في طريق الغروب ، ونحن نعلم أن في الغرب أشياء كثيرة لسنا في حاجة إليها وخاصة منهج العيش الغربي ومفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع ونحن نعرف أن الغرب يمر اليوم بمرحلة العبودية للجنس والإباحة والجريمة والاستهلاك وتبييد الثروات التي وضعها الله تبارك وتعالى للبشرية وهذا ما لا يدخل في إطار التقدم ولكن يدخل في إطار الانحراف .

إننا نعرف أن الرابط بين الأصالة والمعاصرة ربط بين علاقتين هي علاقة الزمن وعلاقة التاريخ ، فال المسلمين يعيشون بمفهومهم الإسلامي الذي لا يضحي بالقيم ولا بالمنابع ولا بالأسس التي قامت عليها عقيدتهم وكتابهم وهم قادرون أن يعيشوا العصر على أساس الالتزام بالأصالة ولذلك هم يؤمنون بالمعاصرة في إطار الأصالة .

إن للمسلمين شخصية متميزة لا يمكن القضاء عليها وكل هذه المحاولات لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، وهذه المؤامرات ليست جديدة وإن لم يستأثروا مختلفاً ، فإن أمة لها منهج حياة رباني المصدر إنساني الوجهة ، وهو بذلك يختلف عن كل مناهج الأمم ، وهي تمتلك الطاقة والثروة والتقدّم البشري ، وهم يعلمون مسئوليتهم الكبرى في إقامة المجتمع الرباني وتبلیغ أمانة الإسلام إلى الإنسانية والعالم كله ، إن هذه الأمة التي تملك منهاجاً ربانياً لا يجوز أبداً أن تترك الجوهر الذي تملكه وتبحث عن التراب والصفيف الذي في أيدي الناس .

العودة إلى المنهج الإسلامي الرباني

إن أصحاب الاتجاه الإسلامي لا يمكن أن يسموا (تراثيون) كما أنه لا يمكن أن يسمى المنهج الإسلامي بأنه تراث ، والمنهج الإسلامي (القائم على القرآن والسنة) هو شيء غير التراث وفوق التراث . والتراث الإسلامي الذي هو نتاج الفكر الإسلامي في عصوره المختلفة ، ولا يمكن أن يوصف بأنه (تراث الدينى) بمفهوم غربي للتراث وللدين ، ولقد صنع الإسلام للمسلمين ميراثا هو المنهج الرباني وتراثا هو عطاء الفقه والتفسير والعلوم والأدب الذي قدمه عشرات من التوابع والأعلام والذي ما زال حيا ينبعض ، وما تزال تستفيد منه أكاديميات البحث العلمي الغربي في مجال القانون والعلوم الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وال التربية والسياسة ، وقد قدم عشرات النظريات التي ما تزال تطبق وتدرس وهناك عشرات ما تزال تحضنها مخطوطات التراث الإسلامي التي نهبت من بلاد المسلمين وتذخر بها مكتبات ليدن والكونجرس والمربيون وغيرها .

وهذا التراث الإسلامي هو معطيات العقل الإسلامي ، سواء أكان أصحابه عربا أم فرسا أم تركا ، موالى أم أمراء ، وهو شيء مختلف عن ثراث الفرعونية والقبطية والفارسية والهندية والمجوسية القديمة الذي يختلف اختلافا بعيدا لأنه ينفصل عن ثراث الإسلام بعامل الوثنية في مقابل التوحيد الخالص ولذلك فإن الدعوة إلى دمج التراث الإسلامي في ميراث ما قبل الإسلام دعوة باطلة وزائفة .

ولقد تميز التراث الإسلامي (وهو تراث يجمع بين العقيدة والعلوم الاجتماعية) ولا يوصف بأنه تراث ديني بمفهوم اللاهوت المسيحي ، يتميز هذا التراث الإسلامي بأمرتين : أصول العقيدة

كالتوحيد ، وعلوم الكلام والفقه والدراسات الاجتماعية وهي مجموعة الممارسات والتوجيهات التي عرفها المسلمون خلال تطبيق منهج الإسلام على المجتمع .

ولذلك فإن الدعوة التغريبية الشعوبية التي تجري في ركاب دعاء (تراث والمعاصرة) ترمي إلى :

— إحياء الفكر المعتزلى والباطنى والجبرى الصوفى على النحو الذى يكتب به فلان وفلان .

— إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بأقلام مسمومة على النحو الذى يكتب به عبد الرحمن الشرقاوى سيرة الإمام « على » .

— تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً .

— حجب التراث الإسلامي الأصيل .

— فرض التفسيرات الاستشرافية للفكر الإسلامي .

— مهاجمة الشخصيات اللاحقة في تاريخ الفكر الإسلامي : الغزالى ، ابن تميمه ، ابن خلدون ، المتبيى .

وها نحن نجد دوائر الاستغرق فى الغرب تحجب عننا تراثنا المذكور في مكتبات الغرب بعد أن تكشفت بعض نظرياته التي ادعواها علماء من الغرب ، وذلك لإحياء جانب واحد من هذا التراث ، المادية ، إحياء القراءمة والزنج وإدخال عنصر الأساطير إلى السيرة النبوية . إننا اليوم نرى محاولة القرن الثالث تتجدد : وهي محاولة فرض الفلسفات الغربية الوافدة على الفكر الإسلامي .

ولكن لقد جاءت هذه المرحلة بعد أن اتسع نطاق الوعى وعمق ، ولم يعد هناك من يستطيع أن يتجاهل هذا العملاق الذى تتسع خطواته : الصحوة الإسلامية التى تتخذ الإسلام مصدراً وحيداً

للهوية والاتجاه والنظام في بناء المجتمع الإسلامي ، والعودة إلى المتابع ، والتماس الطريق الذي سلكه المسلمون خلال أربعة عشر قرنا فهو ليس غريبا ولا جديدا ولا خاطئا بل الخطأ عكس ذلك ، هو استمرار الولاء للمفاهيم التي ثبت فشلها وفسادها : الليبرالية والماركسيّة والاشتراكية وهي جميعها إفراز المسيحية الغربية ، إن النكسة وفشل هذه المناهج في التطبيق هي التي دفعت المسلمين إلى العودة إلى المناهج مرة واحدة على أنه هو الطريق الوحيد بل إن المسلمين يعلمون أنهم في مختلف الأزمات والتحديات العالمية الكبرى التي مرت بهم سواء في الحروب الصليبية ، أو غزو التتار ، أو حروب الفرنجة لم يكن أمامهم إلا التماس منهج الإسلام ، والدخول في خيانته ، وإسلام الوجه إليه ، وكان هو المنقذ الوحيد ، ونحن في نفس الموقف والتحدي ، وقد جرت محاولاتنا بتو吉يه التغريبيين خلال أكثر من مائة عام ، وقد سقطت نصيحتهم لأنها لم تكن خالصة لوجه الله وتبيّن أن التبعية للفكر الغربي أو الحضارة الغربية ليست عالمة بل عالمة إشراف على الفناء .

ونحن نرى هذه المحاولات الشرسة اليوم موجهة إلى الإسلام من كل ناحية حيث يوصف الإسلام : ذلك النبع الرباني المزهر بأنه ثراث وبأنه سلفية ، وبأنه دين لا هوئي وبأنه قديم .

وتحل كلمة العروبة محل الإسلام في وصف الحضارة ، وفي وصف الثقافة ، لتخزين الوجهة الواحدة الجامدة ونحن نقول :

عروبة في إطار الإسلام

ثقافة عربية إسلامية الوجه

إن تلك المصطلحات الخادعة التي ت يريد أن تعلق شأن العروبة لحجب الإسلام لن تؤدي إلى شيء ، وسوف لا تحجب الحقيقة إلا قليلا ، لأننا نعرف أن العروبة والإسلام وجهان لعملة واحدة ، وأن

هزيمة ١٩٦٧ قد أدت سقوط الاستعلاء بالقومية وهو التيار الذي استشرى وأنفق أطنانا من الحبر والهبات وأعطى الفرصة الواسعة للإصلاح ، ولكنه عجز عن تحقيق الأهداف لأنّه استسلم للنظيرية الغربية ، للقومية وعجز عن فهم العلاقة الجذرية بين العروبة والإسلام وأن الإسلام هو الذي أعطى العروبة وجودها ومنطلقها وأن العرب بغير الإسلام لا شيء .

لقد جاءت الصحوة الإسلامية على أتقاض مسلمات كثيرة ثبت فشلها وعجزها عن العطاء ، فكان لابد من تصحيح المفاهيم وتحرير القيم والتماس الأصالة وبناء المعاصرة في إطار الأصالة لخارجها .

إن العودة إلى التابع : هي السبيل الوحيد لمواجهة أخطار النفوذ الغربي والوافد ومطامع الأمية ، وأن تمسك الصهيونية بالوحدة بين القومية والعقيدة هو مفهوم إسلامي أصلًا انحرفنا عنه وحاولت العلمانية إخراجنا منه ، حتى لا نحارب قضيتنا عن طريق الإسلام ، ولقد كان الإسلام ولا يزال جنسية ولن يستطيع المسلمين مواجهة الأخطار إلا بالعودة إلى الوحدة الجامعة ، ووحدتهم الحقيقة ليست في الأفكار ولكن في التماس مفهوم الإسلام نفسه ، فالقرآن هو الجامعه الحقيقية لهم ، علينا أن نفهم التيار القومي (عربيا وفارسيا وتركيا وهنديا) داخل إطار الإسلام ومن خلال نظرية التعارف (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) .

إن الإسلام دين عالمي الوجهة إنساني الهدف رباني المصدر ، وهو دين مفتوح لتجارب العالم ، يقبل منها ما يراه صالحًا لسيرته وكل ما يستقبله يعرضه على جوهر مفهومه وعلى ضوئه يقبل منه ويرفض .

وعلى ضوء الأصولية الإسلامية ننظر إلى التراث أيضا فإن تراث

الباطنية والفلسفات ووحدة الوجود وزندقة أبي نواس وانحرافات
السهروردي والحلاج وابن سبعين من التراث المردود

ولقد تتردد كلمات مضللة تقول بوجوب العودة إلى التراث ،
وما طالب أحد بالعودة إلى التراث وإنما المطالبة بالعسودة إلى
المناهج فهى موجهة إلى منهج الإسلامى الربانى : الذى يعرف
التعامل مع الثوابت فيه والمتغيرات بحيث لا يصييه الجمود
ولا يتوقف عن مزامنة تغيرات العصور والبيئات .

منهج جامع متكامل تكامل الإنسان نفسه

السؤال هو : هل هم لا يفهمون الإسلام حقيقة ، أم يفهمونه ويحاولون تزييف هذا الفهم في نظر أهله والراغبين في التعرف عليه من الأمم الأخرى . الحقيقة أن (مؤامرة التغريب) ترمي إلى عملين في وقت واحد : خلق روح الشك والتشاؤم والانتقاص في المسلمين لإسلامهم ، جوهر حياتهم ونور وجودهم ، بإشعاعه هذه السفوم ومحاولته فرض نظريات يقنعون بها الناس كمنطلق للتقدم والنهضة ، وكلها ترمي إلى حجب الإسلام وتراثه وقيمه واعتناق ذهنية الغرب المادية الإباحية التي تواجه اليوم انهياراً شديداً وتمر بمرحلة المزيمة والسقوط ، ومنذ أكثر من ثلاثين سنة كتب كتاب الغرب عن (سقوط الحضارة الغربية) وهزيمتها ودمارها ، كتب كثيرون ، وما تزال الأحداث تؤكد صدق ما ذهبوا إليه ، إنها محاولات تمويه شديدة ، تستخدم مجموعة من المصطلحات لا تخدع أحداً ، فالمسلمون اليوم لا يخافون من أن يوصفو بالسلفية ، ولا بالتراثية ، ولا بالخلف أو الجمود أو الرجعية فقد ثبت أن هذه الأسماء كلها هي في حقيقتها إيمان بالتوحيد الخالص والعقيدة الربانية المنزلة ، وأن مفهوم السلفية في الإسلام يختلف عن مفهومه في الغرب ، ومفهوم التراث في الفكر الإسلامي له وضعه المتبادر مع مفهوم التراث في الغرب .

ولقد كان من الضروري أن تتعدد مفاهيم المصطلحات التي تستعمل ، وأرضيه البحث نفسه ، فهل الإسلام في مجموعة كالمسيحية الغربية التي أثمرت كل هذه المفاهيم ، والتي انبعثت من قطورها وحركتها خلال العصور إن الإسلام دين منزل كالمسيحية قلنا (نعم) هو دين منزل ولكنه خاتم الأديان وكتابه مازال محفوظاً من كل تعبير وتبديل ، أما المسيحية فليست كذلك ، لقد أنزلت على سيدنا عيسى

كختام أنبياء بنى إسرائيل ، فهى ليست ديناً مستقلاً ، وقد حرف كتابها بشهادة كبار علماء اللاهوت ، وما هو موجود الآن في أيدي الناس ليس كتاب موسى (التوراة) المنزّل واسأّلوا الدكتور « مورييس بوكاي » ٠

ولما كانت المسيحية مجموعة من الوصايا فإن تحولها إلى دين عالمي على يد « بولس » قد أدخلها في مأزق شديد ، لأنّها دين بلا شريعة ، فكان لابد من وضع شريعة بشرية ، ومن هنا جاء الخلط والاضطراب والعجز عن ملاحظة الأحداث المتغيرة ، أو مواجهة البيئات المختلفة ، ومن هنا نشأت هذه المفاهيم الفلسفية في المسيحية التي يحاولون طرحها في إطار الإسلام :

— العلاقة بين العلم والدين ٠

— ما هو مفهوم الدين ؟

— الانسٹمارية بين الروحية والمادية ٠

— غلبة مفهوم الفلسفة المادية ٠

— العلاقة بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية ٠

— النظرية الفردية في الليبرالية ، والنظرية الجماعية في الماركسية والاشتمالية ٠

لقد تخطّط الغرب بين فلسفات « ماركس » « وفرويد » « وسارتر » وبين نظريات « دارون » (ودور كايم) (وديوى) ، كل هذا الاضطراب هو نتاج (المسيحية الغربية) وليس المسيحية المنزّلة التي هي بالقطع مرحلة بين اليهودية والإسلام الدين الخاتم ، وقد جاء رسولها عيسى عليه السلام مصدقاً بالتوراة ومبشراً بالنبي —

(وإذا قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم
مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه
أحمد) (١) ٠

فليتقم الله هؤلاء الكتاب من اليساريين والوجوديين والعلمانيين
والشعوبيين فيما يحاولون طرحه من سموه بحجه أنها منطلقات
لنهضة موهومة تحدث في البلاد العربية والإسلامية ، ذلك أنه أمام
المسلمين والعرب اليوم وبعد تجارب بدأها « لطفي السيد » « وطه
حسن » و « على عبد الرزاق » وصولا إلى (أنيس منصور)
« ولويس عوض » اليوم ، ليس أمامهم إلا طريق الله الحق : هذا
الطريق الذي وضع تماما بعد نكسة ١٩٦٧ حين شعر العرب أن
مناصحة التغريبيين لهم (في كلا التجربتين الليبرالية والماركسية) كانت
مضللة وأنها هي التي أسلمت العرب إلى موقف اليوم في السيطرة
الأجنبية على بلادهم وأرضهم ومقدراتهم ٠

إن الحقيقة التي لا محيد عنها هي أن المسلمين والعرب ينهضون
بنهج مختلف عن منهج الغرب ، بنهج إسلامي أصيل ، يستمد
وجودة الحقيقي من القرآن الكريم والسنة النبوية وأن كل محاولة
لاحتواهم في منهج آخر إنما هي وسيلة ماكرة لاستبقاءهم في التيه
مرحلة أخرى ، وتأخير امتلاك إرادتهم وهي وسيلة معروفة ترمي
إلى استئناف ثرواتهم وتدمير مقوماتهم وهدم معنوياتهم ووضعهم
في دائرة الاستسلام والتبعية من جديد ٠

أما حلق روح اليأس والتشاؤم والغربة والقلق والتمزق فهى
ساربة فيما يطرح الآن علينا من أدب وشعر ومن نظريات الحداثة
والوجودية والسرالية وغيرها ، وهذه نتاج غربى نشأ من خلال نظرية
(الخطيئة) المسيحية التي سرت في الأدب الأوروبية حتى النخاع والتى

لا سبيل إلى تخلص الغرب المسيحي منها ، أما مفاهيم التقسيير المادى للأدب وللتاريخ والادعاء بأن الإنسان حيوان ناطق ، أو أنه خاضع للجنس (كما هو عند فرويد) أو للقمة العيش (كما هو عند ماركس) فذلك أيضا تقسيرا غربى من اختصاص الغرب ونتيجة لفاهيمه وثقافته وعقيدته التى شكلتها عوامل كثيرة منها الفلسفة الإغريقية الاباحية ، والقانون الرومانى الذى يفسر الرق وعبودية الإنسان ، ومفهوم المسيحية القائم على تعدد الآلهة .

الحقيقة أننا في حاجة إلىوعى شديد بهذه المطروحات المضلة ، التي ربما تعتمد على مظاهر براعة لخداعنا حين تتحدث عن (القومية) ، ونحن لا نقر مفهوم القومية الغربية الوافدة لأنها نشأت في إطار الصراع بين الكنيسة وبين القوى اليهودية الزاحفة والتى أحلت مفهوم الوطن والقوم بدلا من مفهوم الدين ليفسح ذلك لها الطريق إلى السيطرة والقيادة في مجالات السياسة والمجتمعات والمجال والأقتصاد .

إن مفهومنا في العلاقة بين العروبة والإسلام واضح :

(عروبة في إطار الإسلام) .

ولقد يكون من الواضح تماما أن الفكر الإسلامي لا يقوم على عنصر واحد في تركيبه وإنما يقوم على عنصرين متكاملين (كما قام الإنسان نفسه قبضة الطين ونفحة الروح) الروحى والمادى ، الدنيا والآخرة ، الدين والعلم ، الأخلاقى والجمالى وهذا هو أبرز الفوارق بين الفكر الإسلامي والفكر الغربى . وفارق آخر هو الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية والإيمان بالبعث والجزاء وفارق ثالث أهم وهو : إسلاموجه الله وإبراز الطابع الربانى في بدء الأمور ونهايتها ، وفي توجيهه العمل كله لله خالصاً في سبيل إقامة المجتمع

الربانى والحضارى المؤمنة وتبلیغ رسالته إلى الأفاق . ونحن نعلم تماماً أن الغرب حين قدم لل المسلمين حلولاً لمشاكلهم وقضائهم سقطت كلها واحدة بعد واحدة وفشل إحداها في إثر الأخرى .

أولاً : لأن الغرب لم يكن مخلصاً في وجهته فهو على الأقل لا يرغب في أن تصبح البلاد الإسلامية قادرة على امتلاك إرادتها .

ثانياً : لاختلاف الوسائل والغايات والمنظفات .

ثالثاً : لاختلاف الوجهة والثقافة والعقيدة .

وبعد الفشل المتكرر من خلال المناهج المختلفة والتجارب المتصلة ثبت للMuslimين حقيقة واضحة صريحة كفلق الصبح .

« إنه لا سبيل إلى النهضة إلا من خلال مفاتيح الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية فهى وحدها القادرة على العطاء » .

إن الغرب لم يستطع من خلال مناهج وأفكاره التي طرحتها في أفق الفكر الإسلامي أن يحقق الأمان النفسي للMuslimين أو الاستقرار الاجتماعي لهم لأن تجربته جاءت ناقصة وقادمت على أساس النظرة المادية البحتة .

وهذا العجز ناتج عن أمرتين : (أولاً) لعدم وجود البعد الربانى وهو ليس بعدها بمعنى أن هناك أبعاداً أخرى ، كالبعد الإنساني ولكنه أكبر من ذلك بكثير ، (ثانياً) لعدم وجود البعد الأخلاقى بينما يقدم الإسلام منهجاً متكاملاً جاماً بين الماديات والمعنويات ويتكافأ مع تكوين الإنسان الجامع بين الروح والجسم وهنا نقرر مع الأسف أن الغزو الفكرى والتعرير قد سلم مسئولية عمله اليوم إلى هذه الجماعة من أصحاب التبعية الحاقدين على الصحة الإسلامية والذين يريدون القضاء عليها (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم والله متم نوره) .

عطاء الإسلام وتراث الغرب

طرحت قضية (الأصالة والمعاصرة) ، أو (التراث والمعاصرة) مقولات كثيرة لا تثبت للبحث العلمي ولا للدليل التاريخي ، وإنما هي تقوم على التمويه والمغالطة وخلط الأوراق ، وأبرز أخطائها أنها تجعل الأصالة في موازاة كلمة التراث ، فالأصالة موقف أما التراث فهو موضوع يمثل تراكمات النتاج الفكري على مدى العصور ، وهو في مفهوم الإسلام يختلفان عنهما في مفهوم الفكر الغربي ذلك أن الإسلام قد أعطى منهجا عالميا إنسانيا رفيع القدر ما تزال الأمم والأفكار غير قادرة على استيعابه أو تطبيقه .

ومن خلال هذا المنهج يبرز التراث الذي يتمثل في كتابات العلماء والفقهاء في مختلف الميادين (وهذا التراث مرتبط بالمنهج في الحقيقة) ولكن هناك دخائل حدثت من خلال الترجمات اليونانية والفارسية والهندية القديمة سرعان ما واجهها العلماء وكشفوا زينها وردوها ووضعوا قاعدهم الأصيله : وهي أن كل ما يخالف منهج التوحيد فهو مردود ، وكل ما وافقه فمن حق المسلمين حين يأخذوه أن يجعلوه مادة خاما ويشكلوها في إطار فكرهم . سواء من ناحية العقيدة أو الفكر أو الثقافة أو التربية .

أما التراث الغربي فماذا هو :

إنه شيء عجيب وخلط غريب من ركام الأساطير والوثنيات القديمة والسحر والخرافات التي عرفها اليونان ، ثم تفسيرات مضطربة لهم الكون ونشأة الحياة ، وسير الأمم ، ولا هو متعرق في الاضطراب يقوم في أساسه على (التجسيم) فلما جاء عصر العلم قام على أساس (المحسوس) . وقد كانت الحياة خلال ثلاثة قرون

قبل وصول الإسلام والعلم التجربى إلى أوروبا — « رهانية » عزلة في الصوامع — بعيدة كل البعد عن مفهوم الدين المسيحى ، وما أخرجهم منها غير الإسلام بدعوته إلى الكسب والسعى وتعظيم الأرض ، ولكنها لم تثبت إلا قليلا حتى تحولت إلى « إباحتية » مغرة في الانحراف على النحو الذي يعيشه الغرب الآن ، وكان الفكر الغربي — الذي هو تراث أجيالهم — خليطا من هذا الركام والحطام الذي هو بمثابة أهواء البشرية ومعطيات طفولتها ، فما كان عند الغرب شيء له قداسة أو جلال ، ولذلك فإنهم نظروا إلى التراث نظرة الإهانة والاستخفاف وظنوا أن الأمر كذلك بالنسبة للإسلام .

لقد تكشف على يدي أعلامهم الذين قرأوا الفكر الإسلامي أن الغرب لم يكن له تراث إلا تلك الأساطير والخرافات المضطربة التي جمعها الأحبار والرهبان ، والتي لا يوجد منها إلا شيء قليل جداً من العطاء الحقيقى ، فلما جاء القرآن تدفق على البشرية مورداً ثرياً عظيماً من نعمة العلم الرباني الحقيقى الذي أفاءه على الإنسانية عن طريق الإسلام وعن طريق هذا النبي ، وهذه اللغة وهذا القرآن الذي خلد اللغة ، لقد انبثق عطاء نفسي وعقلى وروحى ومادى ما تزال البشرية منذ أربعة عشر قرناً تتضرر فيه فلا تستطيع أن تحيط به أو تستوعبه لعظمته وجلاله وقداسته ولإعجازه اللغوى والعلمى جمياً .

هذه هي عبرة الفرق العميق بين تراث الغرب وتراث الإسلام ، وحتى الكتابين اللذين ورثهما الغرب (العهد القديم والجديد) تكشفت في العقود الأخيرة حقائق حولهما تكشف عن بشريتهم ، فماذا لدى الغرب يحرص عليه من التراث ؟

وتجرى مقوله التعبيريين وفي مقدمتهم الدكتور « زكي نجيب

محمود » حول تلك الدعوة العريضة المبطلة التي مازاها يرددتها حتى
ملها الناس ، وهى دعوته إلى خلط التراث بالمعاصرة لقيام منهج
حضارى عربى ، وهو لا يتحدث عن الإسلام أبدا ، فهو تجاهل هذه
الكلمة الشريفة ويعبر دائمًا عن أفكاره في إطار ما يسمى الثقافة
العربية ، وما كانت الثقافة العربية إلا إسلامية الانتماء والوجهة ،
 فهو يقسم العاملين في الفكر الإسلامي إلى جماعتين جماعة السلفيين
أو التراشين الذين يرون أن التراث هو وحده القادر على العطاء في
العصر الحديث وجماعة العصريين التقديرين الذين يرون أن الفكر
الغربي الحديث هو القادر على العطاء ، ثم يتوسط الفريقين بذكاء
ومكر شديدين فيحدث عن قاعدة يظنها تخدع أحداً فيقول : نخلط
الزيت على الماء ، وما يختلطان أبدا . كيف يمكن أن نخلط فكر
الإسلام القائم على التكامل والنظرية الجامحة مع فكر الغرب القائم
على المادية الخالصة ؟ . كيف يمكن أن نخلط فكر الإسلام القائم على
الوجودانية الخالصة بفكر الغرب القائم على التعدد والوثنية ؟ . كيف
يمكن أن نخلط فكر الإسلام الذي يؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو
نقطة البدء وهو غاية الوجهة مع الفكر الغربي الذي يؤله الطبيعة
أو يؤله الإنسان أو يؤله المادة ؟

كيف يمكن خلط الماء والزيت ؟ كيف يمكن أن تقوم قوائم النهضة
العصرية بإضافة تراث أمة عاشت أربعة عشر قرنا في إطار منهج جامع
متكملاً أضاء العالمين شرقاً وغرباً مع فكر مادي ليس له رصيد
قديم إلا الأساطير ؟ وأن كل ما فيه من قوة الآن وهو « التجريب » .
فقد أخذه من الإسلام ونماه وصنع به حضارة العصر .

ماذا عند الغرب بعد هذا ؟ عنده قصص الدعاارة والجنسين التي
أسموها الروائع وفرضوا علينا ترجمتها ، وعندہ تلك النظريات
الضالة التي تحمل أهواء النفوس وشهوات الغريرة التي تضمنتها

الوجودية والفرويدية وكتابات « نيتشة » وشعر « بودلير »
وإباخيات (أوسلار وايلد) الذي أطلقوا اسمه على جوائز أفحش
الأقلام وهي جائزة (الأوسكار) هذا الإباخى الذى كتب عن تجربة
الخسيسة والتى كانت كتبه مصادرة في أوروبا حتى أعادها اليهود .

لعل دكتور « زكي نجيب محمود » ظن أن تراث المسلمين الذى
يستطيع أن يخلطه بالملائكة هو تراث « الحلاج » « والسمورى »
« فلسفيات » « ابن سينا » و « الفارابى » و « ابن الروانى » وغيرهم
من الملائكة الذين أحياهم المستشرقون !

ألا فليعلم أن فكر المعتزلة والفلسفات والتتصوف الفلسفى كل
هذا طارده علماء المسلمين وكشفوا زيفه ولم يقبلوا إلا ما كان متعلقا
بالعلوم ، فلا حرج على كتابات « ابن سينا » و « الفارابى » في
الطب والعلوم ، أما كتاباته في الفلسفة فهى مستقادة من علم
الأصنام اليونانى ، وهى داخلة في الفكر الباطنى الذى روجوا له كما
كشفت الأبحاث أخيرا ، بالرغم من دعوى الدكتور « عاطف العراقي »
الباطلة .

لقد وقف المسلمون من قبل موقفاً تاريخياً من الميراث القديم
كله ، وكشفوا أخطاء « جالينوس » و « أرسطو » و (أفلاطون)
وردوا كل ما فيه من الفكر الوثنى ، وما قبلوه منه صهروه في بوتقة
فكيرهم الإسلامى الذى كان عطاه واسعاً في مختلف مجالات العلم
والفنون والثقافة ، والذى قدم للبشرية المنهج التجريبى في مجال
العلم ومنهج المعرفة ذى الجناحين ، والذى قدم نواميس الكون
وسنن الحضارات والأمم في قيامها وسقوطها ، إنه عطاه ضخم في
مختلف مجالات الحياة ، وفيما يتصل بالإنسان منذ يولد إلى أن
يموت ، ومنذ أن يصبح إلى أن يمسي ولم تظفر أمة بمثله ، ذلك أنه

منهج رباني المصدر ، إنساني الوجهة لم يقدمه الحق تبارك وتعالى للبشرية إلا بعد أن بلغت مرحلة الرشد الفكري وهو منهج باق وممتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠

ولقد جاء الإسلام ليعلن الانقطاع الحضاري بينه وبين ما قبله، وأن كل ما جاء قبله كان تمهيداً له ، ومن ثم فإن رسالة الإسلام قد وضعت في إطار محكم وعقد لها منهجاً متميزاً هو امتداد حقيقى لجميع رسالات السماء ، ولكنه يفوقها بالعالية وثبات القيم وقيام منهج الشوائب والمتغيرات في داخل إطار واحد. ومن هنا فقد قضى — تماماً — على كل الفلسفات السابقة والتى قامت على أساس الأسطoir والوثنيات ، وكان من أعظم معطيات المنهج الإسلامي قيام الوحدة الثقافية الإسلامية تحت ضوء القرآن مع القابلية للتعدد تبعاً للبيئات المختلفة والعصور المتغيرة ، وقدرتها على الافتتاح الدائم على الحضارات على أصولها الأصيلة وأسسها الذى لا يتغير . ومن ثم تتصرّف القوى المختلفة في داخلها ولا تتصرّف هي في أي قوّة وكانت تلك هي أبرز ميزاتها : قدرتها على الثبات في وجه محاولات احتواها أو صهرها واحتفاظها بذاتها الخاصة وتميزها المفرد .

كيف يفهم الإسلام (العاصرة)؟

«العاصرة» : مصطلح حديث يراد به أمران :

إن الإسلام في حاجة إلى العاصرة والتطور ، وإن الإسلام يعلى من شأن الأصالة أو السلفية أو المحافظة على التراث والقديم . وهي دعوى كلها باطلة بدليلين (١) دليل جوهر الإسلام نفسه الذي كان دائماً قادراً على العطاء في مختلف العصور والبيئات، ومقوماته المزنة الواسعة القادرة على تقبل كل تطورات العصر ونماهيه الفكرى والاجتماعى والحضارى . (٢) ودليل التاريخ نفسه فمدى وقف الإسلام أمام التطور والنمو وحركة التاريخ ؟ ، إنه لم يجمد أبداً ، لأن الجمود لا يدخل إلا على الأشياء التي وجدت ولم تكن موجودة ، كما هو بالنسبة للغرب في شأن العلم وشأن الثوابت والمتغيرات ، وفي شأن الموقف من توجيه المجتمعات والحضارة ومن القومية ، وموضوعات أخرى .

أما بالنسبة للإسلام فالإسلام هو الذي فتح الباب أمام العلم حين دعا إلى البرهان والنظر في السموات والأرض ودعا إلى السعي والعمaran ، وكانت هذه المسائل جديدة على الفكر المسيحي الغربى فاضطراب لها ومن ثم قامت لديه فكرة العلمانية والانتسخارية والتقطيم الفاصل بين الروحيات والماديات وغلبة المذهب المادى وإنكار الخالق وإرادته ، وإغراقه في الفصل بين عالم الأفكار وعالم الأشياء ، هذا الفصل بين العلم والعمل الذي أدخل على الحضارة الغربية والفكر الغربى ذلك التمزق الشديد الذى أورث هذه الحضارة هذا الصراع الشديد بين الحتمية والجبرية .

إن الإسلام يقدر العاصرة ويقدر التطور ويقدر حركة التاريخ

ويقدر التغيرات ، ويقدر الانفتاح ، ولكنه يضع لكل هذه المعايير ضوابط وقوانين من شأنها أن تحفظ له جوهره وتحول دون تمزق كيانه القائم على التكامل بين المادة والروح ، واللتزم بالتوحيد الخالص ، والمؤمن بالمسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقى والجزاء الآخرى .

ومن ثم فإن العصرة عنده والتقدير لا يقومان من فراغ ولا يغبهما الجانب المادى ، لأن كل حركة في الإسلام لا بد أن يتكملا فيها المادى والمعنوى ، وأن تكون الوجهة الله خالصة في حركتها ، والإسلام يؤمن بالانفتاح ولكنه انفتاح منضبط ومشروع بحيث لا يؤثر على الطابع الإسلامي ، ولا يدخل المسلمين في تبعية أو انصراف في قيم مجتمعات أخرى .

إن هؤلاء الذين يتحدثون عن العصرية والحداثة والتقدير لا يعرفون أن للإسلام في ذلك قانوناً واضحًا ، ونظاماً مقرراً ، ولكنهم يخدعون الناس حين يتحدثون عن التطور والتطوير ، ظناً منهم أنهم يستطيعون هدم القيم الثابتة وهم يتحدثون عن التطور بمفهوم الفكر الغربي المادى ، البشري ، الذي هو مجموعة نظريات قدماها فلاسفة ثم اخترقتها التغيرات ، فهى في حاجة إلى إضافة وحذف وليس كذلك الإسلام الذي هو نظام رباني : (إنسانى الوجهة عالمى النظرة) والذى قام على أساس (الثوابت) التي لا تتغير ولا تتتطور و (المتغيرات) التي تتحرك في داخل الثوابت ، أما دعوى تطوير الشريعة وتطوير اللغة وتطوير القيم فذلك أمر كله من مؤامرات التغريب ، الذي يرمى إلى هدم الثوابت والحدود والضوابط التي وضعها الإسلام حماية لوجود الإنسان وحماية مجتمعه ، وهذا أيضاً مما يختلف فيه المنهج الربانى (الإسلامى) والمنهج البشري (الغربي) .

فالمعاصرة والحداثة والعصرية قائمة ويعترف بها ولكن بحدودها وضوابطها ، إيماناً بأن الإسلام لن يكون مبرراً لفساد المجتمعات وانحرافاتها ولا لانزلاق الحضارة إلى المادية المفرقة والفساد الاجتماعي ، وهؤلاء الذين يطلبون من الإسلام أن يبرر وجود المجتمعات الفاسدة مبطلون فعلى المجتمعات أن تعدل من طريقها حتى تلتقي مع منهج الله .

ومرونة الإسلام وسماحته ووسطيته كل هذه أمور قائمة فعلاً ولكنها لا تتجاوز دائرة (المتغيرات) أما دعاوى البعض بالبحث عن (الرخص) للاستعاضة بها عن العزائم فأمر لا يمكن أن يكون قاعدة أساسية لمجتمعات إسلامية ت يريد أن تبني نفسها على أسس سليمة لإقامة حضارة إسلامية متتجدة .

أما الخلط بين مناهج الغرب ومناهج الإسلام على النحو الذي قامت عليه تجارب بعض الأمم الإسلامية ، في إطار العلمانية والقومية والاشتراكية وتلك المحاولات التي تجمع بين قيم متضاربة أو متعددة ، فكل ذلك مآل الفشل ، وقد فشلت تجارب تركيا وأندونيسيا وغيرهما في اعتناق الديمقراطية والقومية واللبرالية والفاشية والاشتراكية ، وليس هناك غير منطلق الإسلام نفسه السمح الوسط القادر على العطاء الملتقى مع الفطرة والعلم . ولم تستطع أي دولة من هذه الدول التي اعتقدت هذه الأيديولوجيات أن تتحقق أي قدر من التقدم الحقيقي ، وما تزال قابعة في دائرة التبعية .

وثبت أن الثقافة الأوروبية ظلت بمثابة قشرة على سطح المجتمع ، ولم تلبث أن ظهرت طوابع الإسلام قوية وقد تبين أن الثقافة الغربية ليست عالمية كما تقدم نفسها للناس ، وإنما هي تماج لainjح خارج دائرة بلاده ، لأنّه قائم على قيم ومناهج يونانية مسيحية وثنية .

وقد دخلت تركيا دائرة التغريب منذ خمسين سنة ومع ذلك فإنها لم تستطع أن تفهم بشيء ما في مجال التكنولوجيا وما زالت عالة على الغرب ، وكل ما كسبته أنها فقدت هويتها الإسلامية ولو إلى حين .

وقد أكد كثير من الباحثين أن التبعية للثقافة الغربية ليس لها نتائج إيجابية حقيقة في تقدم العرب وال المسلمين وإنما تؤدي إلى عكس ذلك وتظل موجهة إلى تحقيق هدف الغرب في السيطرة على العالم الإسلامي .

ولقد صنعت الحضارة الغربية — أساساً — من منهج التجريب الإسلامي ولكنها تجاوزت قيم الإسلام في فهم الحضارة ، وقوامها الرحمة والإخاء البشري وعدالة التوزيع ، واستعملت بالعنصر والدم على المؤمنين وأسرفت في تبديد الثروات الطبيعية التي أعطاها الله للبشرية في بناء مجتمع الاستهلاك والترف والفساد والانحلال ونسخت في هذا الطريق الوجهة الصحيحة ، وتجاهلت صاحب العطاء الحقيقي فأنكرت صلتها بالله تبارك وتعالى وادعت أن الطبيعة تخلق ، وتجاهلت جانب المعنويات واتجهت إلى السيطرة على العالم وإذلال العناصر غير البيضاء وإشاعة روح الرعب من إنتاج الأسلحة التدميرية والتنافس في السيطرة على الفضاء الخارجي وحرب الكواكب .

وهى بذلك تتقدم في طريق الفناء والسقوط من ناحيتين :

من ناحية تجاهل الوجهة الربانية الحقيقة للحضارة والمجتمعات :

ومن ناحية هدم مقومات الشخصية الإنسانية والأخلاقية وإشاعة روح الإباحة وثورة الجنس وهى لامحالة منهزمة .

ودلائل الهزيمة واضحة ، فقد غاضت الأرحام في الغرب ، وفي

خلال العقود الثلاثة القادمة سوف يتقدم عالم الإسلام تقدماً ، وأسعا
في طريق النمو السكاني والثروة والطاقة ، وبذلك يتمكن من السيطرة
على مقدرات الحضارة العالمية .

ومن هنا فلا بد أن تتم هذه الثمار في إطار الإسلام ومنهجه
ومسئoliاته وفهمه لربه ولعطائه ولإقامة مجتمعه وبناء حضارة
الإنسانية الكريمة السمحنة القائمة على الإخاء البشري والعطاء
والرحمة .

أصلية الصحة

يدهش العلمانيون للصحة الإسلامية ، ويعجبون ليقظة العملاق ، وقد كانوا يظنون أنهم استطاعوا ترويضه أو القضاء عليه من خلال تلك المؤامرة التغريبية التي اتصلت الآن أكثر من مائة عام والتي شاركت فيها — على مراحل متعددة — قوى الاستشراق والتبيير والشعوبية والغزو الثقافي الغربي الليبرالي والماركسي ، والصهيوني من خلال سوم طرحت في المناهج الدراسية والثقافية ، ومن خلال حجب تطبيق الشريعة الإسلامية ومن خلال فرض النظام الربوي على الاقتصاد ، ومن خلال إفساد المجتمعات وخلق روح الإباحة والتحلل والشهوات والرشوة والنهب .

وقد كانوا يظنون — بعد نكسة ١٩٦٧ — أن الأمر قد انتهى ، وأن المارد المسلم قد أسلم نفسه للموت ، وعلت الصيحات تتحدث عن الدولة العصرية العلمانية المادية التي تتخلص من آخر صلاتها بالدين والأخلاق والقيم والتي تقبل منجم الغرب ومفاهيمه ، وتسقط ملائكة الأنصهار في بوقته ، ولكن هذه القسوى كانت واهمة لأنها لا تعرف حقيقة القوة الإسلامية الكامنة في النفس المسلمة وجذورها الراسخة في الأرض ، وكأنها لم تقرأ تاريخ الإسلام فتعرف منه أن الإسلام حين يتعرض مجتمعه للازمة ، فإن قوى داخلية تهب من أعماقه لتصبح له الطريق .

إننا بالنسبة للغزو الصهيوني والسيطرة على بيت المقدس أشبه بالحملات الصليبية التي هزمها المسلمين ودمرواها وأعادوها مدحورة كليلة ، وإننا بالنسبة للغزو الثقافي أشبه بموقف المسلمين من ترجمة التراث اليوناني القديم ، وقفنا منه منذ اليوم الأول موقف

المراجعة والعرض على أصول الإسلام ، فما كان معارضنا للتوحيد
الخالص رفضناه ، وما قبلناه منه حولناه إلى مادة خام نشكها داخل
بوتقة فكرنا وبمفاهيمه وقيمةه .

لقد جعَدَ الإسلام تراثَ النبوة وكشفَ زيفَ تراثَ البشرية ، ونحن
الآن نمرُّ بتنفسِ هذه المراحلَ مرةً أخرى ، بعد أن جددت التلمودية
تراثَ السحر والأساطير والفكر الباطني وأعادته مصاغاً صياغةً جديدةً
على هيئة نظريات لها طابع علمي ، كما تراه اليوم في كتابات «فريزر»
«فرويد» و«ماركس» و«سارتر» و«دوركايم» ، وعلينا أن
نفعل نفسَ الأمر ، إننا نواجه مرحلةً شبيهةً بمرحلة المسلمين بعد
ترجمة الفلسفة اليونانية .

إن هناك محاولةً يراد فرضها على الأمة الإسلامية وهي من
شطرين :

الأول : أن يأخذ المسلمون أسلوبَ الغرب كاملاً كما هو ، وأن
يتجاهلوه منهجهم الرباني الأصيل .

الثاني : أن يظلو تابعين للغرب تبعيةً كاملةً فلا يتمكنا من
إقامة مجتمعهم الرباني أو استئناف حضارتهم الإسلامية بمفاهيمها
الصحيحة وهم يرمون من وراء ذلك إلى هدم الثقة بالنفس الإسلامية
وتأخير هذه النهضة البارزة الآن للعيان وإجهاضها أو تحويلها عن
وجهتها ، وذلك من خلال هذه المؤتمرات الشبوهة التي تعقد هنا
وهناك وتجمع لها تلك الأسماء المختلفة الهويات من أجل الوقوف في
وجه التيار الأصيل ودفع المسلمين إلى السبل المترفة التي أوصاهم
القرآن بأن يتجاهلوها وأن يجتمعوا على الطريق المستقيم .

() وأن هذا صراطٌ مستقِيمًا فاتَّبعوه ولا تَبْغُوا السُّبُلَ فتَفَرِّقُ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ () (١)

١) الأشعما / ١٥٣ .

نحن نعرف أن العالم كله الآن (والغرب على وجه الخصوص) بعد أن تكشفت له حقائق الأمور في كتبه المقدسة (يتطلع الآن إلى ضياء الإسلام) لا بوصفه ديناً جديداً ولكن بوصفه دين الإنسانية كلها ، أعيد الوحي به نقياً خالصاً ليرفع الخلاف الذي أوجده قادة الأديان بعياً بيتم ففرقوا الناس أحزاها وشيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) والإسلام اليوم يستطيع أن يشبع أشواق النفس الغربية المتطلعة إلى العقل بمفهوم الإسلام الجامع بين العقلانية والروحية ، والمتطلعة إلى العدل بإعلاء الحق على الباطل ، والمتطلعة إلى الحق بقبول ثبات القيم والتجاوز عن موروثات التقاليد الباطلة وبالصلة بالله الواحد ، صلة خالصة ليس فيها وسطاء وبالمساواة حيث لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ولا لجنس ولا دم ولا عنصر ، إلا بالتفويت هذه المبادئ التي أعلنها القرآن منذ أربعة عشر قرناً ، وهذه المناهج التي قدمها والتي أخذها العلم الحديث وأقرها ، وهذه الحقائق التي كشفها حين أعلن أن الكتب القديمة كتبت بأيدي الأخبار والرهبان ، وقد جاءت مؤتمرات اللاهوت الأخيرة تؤكد ذلك وتقره ولا تبرأ منه .

و جاءت تجارب الغرب نفيه لثبت فشلها واحدة بعد أخرى :

ف مجال الانتقام : فشلت الإقليمية والقومية .

ف مجال الاقتصاد : فشلت الرأسمالية والربوبية والماركسيّة .

ف مجال النفس : فشلت الفرويدية وتبين خطأ نظرية الجنس وفسادها .

ف مجال الاجتماع : فشلت نظرية مدرسة العلوم الاجتماعية (دوركايم) .

فِي مَجَالِ السِّيَاسَةِ : فَشَلَتْ نَظَرِيَّةُ الْدِيمُقْرَاطِيَّةِ وَالْفَاشِيَّةِ
وَالدُّكْتَاتُورِيَّةِ .

فِي مَجَالِ الْعِلْمِ : فَشَلَتْ نَظَرِيَّةُ إِخْضَاعِ الْعِلْمِ لِلْسُّيْطَرَةِ الْعَالَمِيَّةِ .

فِي مَجَالِ الْحَضَارَةِ : فَشَلَتْ فَكْرَةُ الْاِسْتِعْلَاءِ بِالْعَنْصَرِ وَحْضَارَةِ
الرَّجُلِ الْأَبْيَضِ .

فِي مَجَالِ الْمَرْأَةِ : فَشَلَتْ فَكْرَةُ هَدْمِ الْأُسْرَةِ وَإِخْرَاجِ الْمَرْأَةِ إِلَى
الْمَرْأَقْصِ وَجَعَلُهَا أَدَاءً جِنْسِيًّا وَتَطَالِبُ الْمَرْأَةِ الْيَوْمَ بِالْعُودَةِ إِلَى بَيْتِهَا .

فِي مَجَالِ الْبَيْولُوْجِيَّا : فَشَلَتْ نَظَرِيَّةُ التَّطَوُّرِ الَّتِي نَسَبَتْ إِلَى
(دَارْوُن) وَتَقُولُ بِأَنَّ إِنْسَانَ حِيَوانَ .

فِي مَجَالِ الْفَلَسْفَةِ : فَشَلَتْ نَظَرِيَّةُ « نِيَتِشَةُ » فِي قَتْلِ الْفَعَاءِ
وَسِيْطَرَةِ الْأَقْوَيَا وَإِنْسَانِ الْأَعْلَى .

فِي مَجَالِ الْأَدْبِ : فَشَلَتْ نَظَرِيَّةُ إِخْضَاعِ الْعَمَلِ الْأَدْبَى لِنَظَرِيَّةِ
أَنَّ إِنْسَانَ تَحْكُمُهُ عَرِيزَةُ الْجِنْسِ وَغَرِيزَةُ الطَّعَامِ .

فِي مَجَالِ إِنْسَانِيَّاتِ : فَشَلَتْ مَحاوِلَةُ إِخْضَاعِ إِنْسَانِيَّاتِ
لِنَظَرِيَّةِ الْمَادَّةِ وَالْعِلْمِ الْتَّجْرِيُّيِّ وَتَبَيَّنَ أَنَّ إِنْسَانِيَّاتِ لَا تَخْضُمُ
لِلْمَادَّةِ .

المشروع الحضاري الإسلامي

طرح بعض المنظمات التي تحمل لواء القومية ماقسميه المشروع الحضاري العربي . وتحاول أن تضع له عناصر ذات أسماء إسلامية : كالعدل الاجتماعي ومواجهة الاستبداد والوحدة في مواجهة الجزئية ، وهي محاولة ترمي إلى تقديم المشوه في وجه النهج الإسلامي الأصيل ، وهي معاودة يائسة لمحاولات إعطاء المفاهيم القومية دوراً جديداً من خلال الأدوات والأرضيات التي كانت في الماضي للتيار القومي الذي لم يفسح المجال في العصر الحديث إلا لتيار مثله وقد استطاع خلال الستينيات السيطرة على الصحافة والفكر والثقافة والتعليم وأعلن عن نفسه بكل الوسائل وطرح مفاهيمه في كل اتجاه وأفق .

ومع ذلك فقد عجز عن أن يحقق شيئاً ذا قيمة ، لماذا لأن التيار نفسه مدخل ومضطرب ، وليس مطابقاً للفطرة وليس متصلاً بمواريث الأمة ، إن النظرية القومية الغربية التي طرحتها المنظمات العربية في الماضي ، والتي ما تزال مشتبه بها وتحاول تجديدها لن تتحقق نمواً أو تقدماً لأنها منفصلة عن الأصالة ، ومن هنا فقد عجزت أن تتحقق أشواق العرب لأنها فصلت نفسها عن أمرتين هامين (١) عن النهج الإسلامي (٢) عن الأمة الإسلامية . ولما كانت النظرية القومية الغربية ول哩دة الخلاف بين الكنيسة والقوميات فقد اختلفت تماماً عن (الوحدة العربية) التي هي ول哩دة الإسلام نفسه والتي لم تقف معه موقف الصراع ، ولكن القوميين حين تحدثوا عن العلاقة بين الإسلام والعروبة أعلوا شأن العروبة واعتبروا الإسلام مرحلة منها وثلك معالطة واضحة والحقيقة الواضحة أن الإسلام هو الذي صنع

العروبة وأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا إلا قبائل متفرقة متصارعة وأن الإسلام هو الذي أعطاهم هذا الوجود الحقيقى ، وهو الذي فتح لهم آفاق الانطلاق إلى أقطار الأرض وأعطاهم القرآن الكريم الذى حفظ لهم وحدة اللغة العربية ، ومن ثم وحدة الأمة ، وإذا كان العرب يصررون وجههم عن الإسلام كمنع حياة فإنهم سيفرون في أوحال المذهب العربي المضطربة ، وإذا كانوا سيعلنون شأن الجنس والدم والعرق ، ويعملون حدودهم عن إخوتهم في الوطن العربي الواسع الذين تجمعهم أخوه الدين والثقافة والعقيدة والفكير : فرساً ، وتركاً ، وهذا ، فإنهم يسيرون في غير الطريق الصحيح .

إن المفهوم الإسلامي هو تداخل الحلقات الثلاث وتكاملها : الوطن ، والقومية ، والإسلام (أمة وعقيدة) وقد تأثرت الحلقات عندما جاء النفوذ الاستعماري فأعلى شأن الإقليميات وبعث تراثها القديم السابق للإسلام من أجل أن يمزق الوحدة الإسلامية السياسية الجامعية ، وقد تحقق له ذلك ، وأعانه عليه بعض الذين كانوا يحصون على الدولة العثمانية ضعفها وقصورها ، وكانت غاية النفوذ الأجنبي الأولى تحطيم الوحدة الإسلامية الجامعية وإلغاء الخلافة الإسلامية ، وفتح الطريق أمام الصهيونية إلى فلسطين ، فكنا لها عوناً ذلك ، غير أنه بعد أن سقطت الخلافة – إلى حين – تجمع العرب حولعروبة كحلقة يقفون منها إلى الوحدة الإسلامية ، ولكن قوى تغريبية كثيرة حاولت أن تجعل العروبة غاية الغايات ووصفتها بالرسالة وبالنبوة ، وجعلت لها تاريخاً .

إن المشروع الحضاري الإسلامي هو منطلق الصحوة الإسلامية للحقيقة وإعطاء الحضارة الإسلامية دفعتها نحو العطاء مرة أخرى بعد أن توقفت ولن يكون ذلك إلا بالتربية وبناء الأجيال الجديدة على

روح الإيمان والغداء ، والمرابطة في الشعور . إن المسلمين اليوم
قادرون على بناء منهج علمي تكنولوجي إسلامي يفتح مفهوم الإسلام
للعلم والحضارة .

لقد أعطى المسلمون اليوم ثلاثة منجزات حضارية : هي المال
والطاقة والتفوق البشري ، وإن الطريق أصبح مفتوحاً إلى استثمار
ثروات المسلمين في أرض المسلمين ، وإقامة السوق الإسلامية المشتركة
وببناء الصناعات الإسلامية الثقيلة .

إن استغلال وجهة النظر الإسلامية في كل أمور الثقافة والمجتمع
والاقتصاد والتربية ضرورة حتمية في مواجهة التيارين الساريين
الذين يسيطران الآن على الصحافة والثقافة . إن نفوذ القوى
الأجنبية ما زال يحول بين المسلمين وبين منهجهم القربوي الإسلامي .

إن القوى الغربية تعمل على أن تهلك ثروة المسلمين في مجالات
الترف والتحلل والفساد ، وهي ليست ثروة مطلقة ولكنها ثروة أمة
تريد أن تبني كيانها وتحمي وجودها وتحرر أرضها إن محاولة
دفع المسلمين إلى آفاق التحلل والترف لبيع مواد الاستهلاك هي
مؤامرة يراد بها القضاء على الثروة الإسلامية وتبيديدها ، إن علينا
أن نقيم دعائم المشروع الحضاري الإسلامي على تصحيح الأخطاء :

— تحرير المسلمين من التعليم العلماني وإقامة منهج التربية
الإسلامية مع التعليم .

— تحرير الاقتصاد من الربا والحيلولة دون استغراق
الثروات وخراب البلاد بالقروض والربا .

- الشريعة الإسلامية لتحرير المسلمين من القانون الوضعي والتحلل الاجتماعي .
- تحرير الصحافة العربية من نفوذ الماسونية والشيوعية والبهائية .
- تحرير الجامعات من نفوذ المدارس الفلسفية المحددة وسيطرة الاستشراق الغربي والروسي والصهيوني .

العودة إلى المتابع لا « التتوير »

العودة إلى المتابع : هي صلب دعوة مدرسة الأصالة التي حمل
لواءها الإمام « أحمد بن حنبل » حين صاغها الإمامين « ابن تيمية »
« وابن الق testim » في منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف عن أن يحمله
المجاهدون جيلاً بعد جيل ، فلم يخل منه جيل حتى اليوم .

وهناك من يطلق على هذه اليقظة كلمة « التتوير » : وكلمة
التتوير كلمة صهيونية ، تعنى إخراج الفكر الغربي من صبغته المسيحية
إلى طابع العلمانية والإلحاد وهي المرحلة التي سيطر فيها اليهود
على الفكر الغربي لإخراجه من سماحة المسيحية إلى « تآمر اليهود »
على البشرية والبدء في إخراج مخططهم الذي عرف من بعد باسم
« بروتوكولات صهيون » والذي بدأ بتحريف دوائر المعارف
الأوروبية وإخراج مادة (خزر) منها وتشويه مواد العرب وفلسطين
واليهود وإسماعيل وغيرها ، وذلك في سبيل الادعاء بأن اليهود حقاً
في فلسطين وبأنه كان لهم وجود قبل العرب (وهذا ماكتشفت فساده
الأبحاث العلمية والحفريات الأثرية) .

ويسجل المطران « إيليا خوري » أن الصهيونية هدلت
الديانة المسيحية فيقول : « لقد تعايش المسلمون والمسيحيون أربعة
عشر قرنا وتقاعلوا في الحياة الوطنية ، فعاشوا في السراء والضراء
مدافعين مناضلين عن الحق العربي واليوم فهناك من يقولون بأن
المسيحية الغربية هدلت الديانة المسيحية ، هذا ما يقلقني ، لأن
اليهودية والصهيونية العالمية استطاعت أن تؤثر على تلك القوة فبدلاً
من أن تجعلنا قوى فاعلة في سبيل الخير والسلام جعلت منها أمّة
تدعم أعداءها بالسلاح والمال » .

ولذلك فإن الصحوة الإسلامية التي نعيشها الآن ، والتي تتأمر
القوى الثلاث على إجهاضها أو تدميرها إنما نشأت نشأة طبيعية من
خلال مفهوم أصيل للحقيقة والأصلة والعودة إلى المتابع ، وقد مخت
خلال عقود مختلفة حتى دخلت اليوم مرحلة « الرشد الفكري » لقد
صدرت الصحوة الإسلامية من « المتابع » الأولى وليس من أي مصدر
آخر ، وإن هذه المحاولة ترمي إلى صرفها وتحويلها واحتواها . لقد
كان الإسلام قادراً دائماً على التجدد من الداخل وعلى انبعاث النهضة
من أعماقه حين تقع كل الأمة في أزمة التخلف .

ومن الحق أن تؤمن أن كل نهضة غير متصلة بالمصادر الأولى
فهي نهضة زائفة ويمكن أن تضل طريقها ، وهذا ما يحاوله التغريب
مع الفكر الإسلامي حين يحاول حجب الأدب والثقافة المعاصرة عن
جذورها وأصولها الإسلامية تحت اسم عازل مثل الفكر العربي
أو الثقافة العربية والحضارة العربية بديلاً عن الفكر الإسلامي
والثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية ، وهذه — ولا شك —
أخطر التحديات ، فلنحدد هذه النعمة الضالة المضلة ، علينا أن نظر
مرتبطين يأولياتنا الإسلامية وأصولنا التاريخية .

ومن أشد المحاذير خطراً الفصل بين القيم ، أو الفصل بين
الفكر والتطبيق ، فالإسلام منظومة جامعة للأدب والعلم والسياسة
والاقتصاد والمجتمع وإن من أخطر ما واجه الغرب فكرة « ديكارت »
التي تفصل بين الفكر والتطبيق ومفهوم الإسلام هو النظرة الجامعة
بين الكون والحياة ، والمجتمع والإنسان ، وقيام المسؤولية الفردية
والنظام الأخلاقى والجزاء الأخرى . وفي مجال التربية تقوم التربية
على الترابط بين بناء الشخصية والنفس والجسم والعقل جميعاً ،
وتقوم حركة الترجمة الإسلامية على أساس تقديم إطار كامل لكل

فکر يقدم ، ومعرفة ظروفه وعصره ، وتحديات عصره ، ومدى التقائه بفكرنا الإسلامي أو اختلافه عنه .

والأمة الإسلامية اليوم يجب أن تكون يقظة لا تقبل الأمان الخادع ولابد من إيماء فكرة أن يكون قومنا في رباط دائم واستثمار مستمر ، ويقظة لا تعرف الاسترخاء ، فالعالم الإسلامي مستهدف من أداء البشرية وخصوص الإنسانية ، فأمنتا يجب أن تكون قادرة على الردع والدفاع والحماية كذلك فإن من أخطر المحاذير أن نفسر تاريخنا الإسلامي بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية ، وهي محاولة فاشلة ولن تجد في هذه المرحلة من حياة الأمة الإسلامية أى قبول لها كذلك فإن القول بأن الحروب الصليبية هي صراع بين العرب وأوروبا هو قول باطل تماما ولا دليل عليه ، فمتي كانت هناك عروبة تصارعها أوروبا في هذه الفترة ؟ وكلمة العروبة كلمة حديثة لم تستعمل إلا منذ سبعين عاما على الأكثر .

وغاية الأصالة والعودة إلى المنابع تتصب على رفض مقوله كتاب التغريب بأن أسلوب الغرب هو المنطلق الذي يستطيع به المسلمون أن يحفظوا كيانهم ، ويحققوا وجودهم ويقيموا مجتمعهم ، وقد كانت هذه دعوى خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة منذ أثارها « طه حسين » « ومحمد عزمي » وغيرهم ، وقد تكشف بطلانها منذ انتزعت (القدس) من أيدي . المسلمين وثبت فشل المنهج الليبرالي الغربي بعد الحرب العالمية الأولى ، كما ثبت فشل المنهج الماركسي الاشتراكي بعد الحرب العالمية الثانية . إن ماظنوا أنه عامل موصل للنهاية تبين أنه عامل عازل يسلم المسلمين والعرب إلى الاحتواء الكامل والانصهار في بوتقة الأمميه العالمية .

البناء على الأسس

في العالم اليوم ثقافات متعددة تتقبل قانون التبادل والانفتاح وتحافظ في نفس الوقت على وجودها الأصيل وملامحها الحقيقة ، ولا توجد ثقافة يطلب منها أن تتنازل عن مقوماتها الأساسية وأن تقبل التقليد والتدخل والانصهار كما يطلب دعاة العصرية والتقدمية قبلت الحداثة من الثقافة العربية الإسلامية . وما من أمة من الأمم قبلت أن تتنازل عن ارتباطها ب الماضي وقيمها الأساسية ، حتى الأمم التي غيرت وجهتها الأيديولوجية تغييراً تاماً كالسوفيت ، وما يزال « زكي نجيب محمود » و « حسين فوزي » و (فؤاد زكريا) يلحون على هذه الأمة أن تقبل الفكر الغربي مادامت قد قبلت الحضارة المادية الغربية (كالألات والأدوات والمصانع) ولا أدرى من أى نظرية من النظريات يمكن إقناع المسلمين وحدهم بأنهم ماداموا قد ركبوا الطائرة واقتتوا أجهزة « التلفزيون » فإن عليهم أن يقبلوا فكر الحضارة الغربية ؟ وما علاقة هذه المعطيات المادية للحضارة بأسلوب العيش الغربي ؟ إن هذه الأدوات الحضارية هي أجهزة تصلح للاستعمال بدخول الفكر البوذى أو الفكر الماركسي أو الفكر الإسلامي إليها دون أن يكون هناك حرج عليها في تقبله فلماذا هذا الإلحاد الشديد والمتصل بأنه من الضروري قبول فكر الغرب مادمنا قد استعملنا أدوات حضارته ؟ إن هذه الأدوات هينتاج التجريب المادى الذى تقوم به المعامل والأنبيب ، وهو المرحلة المتقدمة من منهج صنعه المسلمون أساساً ، فلماذا يطالب المسلمون بأن يقبلوا فكر الغرب وهو فكر مادى ، وثنى ، انشطارى ، يقوم على أساس واحد هو إنكار المأورائية ، وتجاهل المسانع الكبير ، والاعتداد بالقدرة البشرية ، وتوجيه الصناعة والحضارة إلى استنزاف الثروات

وإشباع المطامع والشهوات وخلق طابع الاستهلاك والترف وهو ليس أحسن الأساليب لاستعمال أدوات الحضارة ، وليس المنهج الاقتصادي سواء الرأسمالي الحر أو الاشتراكي المقيد بالأسلوب الأمثل بالنسبة لاستغلال الثروات ٠

ولقد أخذ العالم الإسلامي بالليبرالية والاشراكية وفكرة الدولة القومية ولم يستطعوا أن يتقديموا خطوة على طريق بناء مجتمع الرخاء والأمن بل أصبحوا أدلة تابعة محتواة للتيار الغربي المتصارع ، وقد وصلت الحضارة وأيديولوجياتها إلى مرحلة الاضطراب الشديد ، وارتقت الصيحات تدعو إلى نظام عالى جديد ، وقد تبين بوضوح الحد الفاصل بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب (بشقيه) والثقافة تعبير عن أصالة الأمة الخاصة ومزاجها وروحها وذوقها ووجودها ، وهناك محاولات لتمييع هذه الثقافة عن طريق الأعمال السينمائية والمسرحية التي تزيد إقحام عادات الغرب وتقاليده على أمتها ، وفرض النموذج الغربي وأسلوب العيش بكل مفاهيمه للأسرة والعرض والأخلاق تحت استحالة العزلة بين الثقافات . والحقيقة أن هناك سداً مانعاً عالياً مرتفعاً لا يمكن اقتحامه بين أصول ثقافات الأمم ولكن هناك التقاء واقتباس وتبادل فيما دون ذلك من علوم و المعارف ٠

ومن أجل أن يفرض الغرب ثقافة وأسلوب عيشه يدعوه إلى الحرية والحداثة التي تفصل الحاضر عن الماضي وتنتظرك إلى التراث نظرة الازدراء ، وقد اختلط تراث الإسلام بميراثه السماوي الرباني فأعطاه قوة وأصالة وفطرة ، وفرضه في جذور قلوب الرجال وضمائرهم فلن تستطيع قوة من قوى التغريب أن تصهره أو تتنزعه . ولا يمكن المزج بين التراث الإسلامي وبين فكر الغرب المعاصر ولكن يمكن الالتقاء على قاعدة الإسلام نفسها وهي قاعدة (البناء على الأساس)

تأخذ الأدوات كما أخذت اليابان وتحتفظ بذاتيتها وقد بلغت اليابان أرقى درجات العلم والتكنولوجيا دون أن تفقد ذرة واحدة من تراثها (وهو تراث وثني) فما بالك بالميراث الإسلامي الرباني الأصيل الذي سوف لا تجد البشرية بعد قليل سبيلاً غيره تسكله ، وقد جربت كل المناهج والأيدلوجيات وشهدت فشلها وسقوطها وعجزها عن عطاء النفس الإنسانية .

إن الغرب لا يطمع إلا في صهر المنطقة الإسلامية في بوتنته ، ودفعها إلى التسلیم الكامل لحضارته العالمية المادية التي تجنيح إلى الغروب ، كذلك فقد انكشفت مؤامرة الدعوة إلى محاربة الغرب بنفس سلاحه وهي التي حمل لوادها التغريبيون خلال العقود الثلاثة الماضية فقد كانوا يخدعونا بأن اعتناق ثقافة الغرب هو الذي يعطينا القدرة على استخدامها سلحاً ضد الغرب نفسه ، وقد جربنا وتبين لنا أنها من الأهواء المضلة . إن هذه الولاية لثقافة الغرب هي التي كونت هذه القيادات المسيطرة اللامعة الأسماء في مجال الصحافة والثقافة والتعليم ، وهي التي وسعت رقعة الاحتواء والولاء .

يجب أن تتمو في العقل الإسلامي والنفس الإسلامية حصانة قوية . وشعور بالخطر على التراث والميراث ، لأن مؤامرات القضاء عليهما مستمرة ، ومحاولات طمسها تجري من كل طريق ، وكلما كشفت مؤامرة خلقت مؤامرة من نوع جديد ، ترمي كلها إلى استدامة السيطرة على العقل الإسلامي والكيان الإسلامي ليكون تابعاً وخاضعاً لأمبراطورية الربا والسيطرة العالمية .

ومن هنا كان لابد من وضع قاعدة البناء على الأساس موضع التطبيق بالنسبة لل الفكر الوافد وبالنسبة لل فكر القديم الذي كان بعضه متصلة بدوائر الزنا دقة والمجوس ومدارس حران وطوس ، والمدارس الهلينية والغنوصية والأفلوطينية ، والذي يتجدد الآن – على أيدي

العلمانيين والماركسيين . ومن هنا يجب أن ييرز تيار الفكر الإسلامي الأصيل المستمد من مفهوم أهل السنة والجماعة .

ونحن نعرف أن الثقافة مرحلة بعد التعليم والتربية ، وكلما يجب أن تستقى مصدرها من المفهوم الإسلامي الأصيل ، وقد تبين أن الثقافة الغربية التي احتضنها المسلمون والعرب في العقود الماضية لم تكن ثقافة عالية ، ولكنها كانت تجارب مضطربة لغرب أوروبا وحدها ، وكان الغرب يضع تجاربه لنفسه ثم يفرضها على الآخرين ، وإن التجربة الماركسية لم تكن إلا رد فعل للتجربة الرأسمالية ، وكلتاهما تجربة واحدة غربية للأمم لم يقدم لها دينها منهاجاً للحياة ولا نظاماً للمجتمع فظلاً يتخطبون وماز الواء ، وكيف يستعيض المسلمون أصحاب المنهج الرباني الأصيل الجامع ، من ركام الزيف وحصاد الهشيم ؟ لاريب فعند المسلمين المنابع الحقيقة للنفس البشرية والعطاء الكريم لواجهة مختلف تحديات المجتمع البشري المعاصر، ولقد ثبت فشل التبعية في محاولة تركيا ومحاولات أندونسيا ومحاولات بعض البلاد العربية في التبعية للمناهج الغربية ، وفي تركيا ظلت الثقافة الغربية قشرة على سطح المجتمع التركي الذي احتفظ بتراثه الإسلامي ولم يجد في التجربة الغربية ما يحمسه أو يقيمه ، وفشل التجربة العلمانية الكمالية والقومية الاشتراكية الغربية ، وثبت أن الدعوة الإسلامية وحدها هي القادرة على العطاء الصحيح . فهمل يفسخ لها المجال لتكتشف عن جوهرها !! إنها ما تزال محاصرة حتى الآن !!

فوارق عميقة بين المنهج الربانى والمنهج البشرى

إن هناك محاولة لاحتواء اليقظة الإسلامية ، فالتعريبيون يرون أن (العودة إلى الدين) ظاهرة خطيرة وأن ما حدث بعد نكسة ١٩٦٧ حركة مفاجئة لتقدير اتهم لم يكونوا يحسبون حسابها ، ولم يستطعوا فهم دلالاتها ، ذلك أنهم كانوا يظنون أن مراحل التغريب والاحتواء قد وصلت من خلال الليبرالية والماركسيّة ونفذ المدارس الفكرية المادية والملحدة إلى مرحلة ٠٠ « الإجهاز » ، وقد ظنوا أن نكسة ١٩٦٧ هي بداية النهاية ، ولكنهم عجبوا حين شاهدوا الأمة الإسلامية وهي تتطاير من القمّم كالملارد ، وتلتمس الأصالة والعودة إلى التابع ، وإحساسهم بالمفاجأة — على حد قول أحدهم — دليل على جهلهم بأمررين خطرين (أولاً) مدى عمق الميراث الإسلامي في النفس المسلمة (ثانياً) استجاشته عند لحظة الخطر كما حدث في الأزمات الكبرى التي واجهت العالم الإسلامي في المراحل الماضية . لقد ظنوا أن الآفتين الكبيرتين اللتين انطلقتا في أفق الإسلام كالغمام الأسود : القومية الغربية والماركسيّة وما أثارته لهما بعض الأنظمة من فرصة للحركة سيقضيان على الإسلام ، فلما وجدوا أن الأصالة قد نادت رجالها وصفوا هذه الأصالة : بالرجعية والجمود والتخلّف والتراشية والسلفية وجهموا الفوارق العميقة في تفسير المصطلحات ، والفرق العميقة بين التراث الإسلامي والغربي ، وبين اللغة العربية واللغة اللاتينية ، وبين السلطة الإسلامية التي هي انبساط للقيم والسلطة الغربية التي هي انبساط للأساطير والفلسفات الغنوصية .

ومن هنا جاء التعريبيون لحاصرة التيار الإسلامي والمسلمي والصحوة الإسلامية في دعوة لاقتسام الأرض بين الماركسيّة والقومية والإسلامية ، وهي محاولة مضللة باطلة ، وهم يعلمون أن

التجربتين القومية والماركسيّة بل والبرلانيّة أيضًا تلك التي أجريت في بلاد العالم الإسلامي قد أثبتت عجزها عن العطاء الحقيقى ، وأن المفاهيم الإسلامية الربانية لا يمكن أن تدخل في مبارزة مع أيديولوجيات الفكر البشري التي عجزت عن العطاء للأممها والتي افتقرت إلى الإضافة والحذف مرة ومرة حتى تستطيع مواجهة متغيرات البيئة والعصر .

ومن هنا فإن هناك محاولتين هما أشبه بالمؤامرة :

أولاً : مساواة الفكر الإسلامي بالفكر البشري ، والدعوة إلى المقارنة بينهما (مع تبين قصور النظرية القومية والنظرية الماركسيّة وانشطارية الفكر الغربي كله بقيمه على الفكر المادي وتجاهله تجاهلاً تاماً النظرة الإنسانية الإسلامية الأساسية الجامحة بين المادة والروح ، والعقل والقلب) .

ثانياً : الدعوة الباطلة المسبطة لإدخال ما يسمى ثقافات ما قبل الإسلام ، وهي ثقافات لم يثبت لها وجود حقيقى من قيم أو لغة أو آداب ، وهي ليست إلا مجموعة من النصوص المستقاة من وثنيات بابل وآشور ، جمعت بأيدي بعض الدعاة في سبيل سد الفراغ بعد ذهاب الكتب الأصلية المنزلة .

ول يكن معلوماً أن الإسلام قد أحدث (انقطاعاً حضارياً) كاملاً وأن كل الدعاة الذين دعوا إلى الفرعونية والفينيقية والآشورية البابلية لم يجدوا تراثاً ولا لغة ولا ثقافة ، فسقطت دعواعهم ، وقد ترجم أصحاب الأديان صلواتهم إلى العربية بعد اختفاء اللغات القبطية والسريانية .

إن الظن بأن العرب سيرفعون شعار العلمانية سواء كانوا

لبيراليين أو ماركسيين ظن خاطئ ، وسوف لا يتحقق ، انطلاقاً من شرعية الدساتير التي اعتبرت الشريعة الإسلامية مصدرأً للقوانين ، والإسلام دين الدولة ، فليصرفوا أنفسهم عن هذا الأمل الخادع ليعلموا أنه لا سبيل إلى تلاقي التيارات القومية والماركسيّة مع التيار الإسلامي إلا على أساس واحد : هو أن الإسلام عقيدة هذه الأمة ولذاتها ومنطقها ومصدر ثقافتها وهو الأعلى ، وهو قابل للانتماء العربي ولكن بمفهوم آخر غير منطلق نظرية القومية الغربية الوافية ، وهو قابل للعدل الاجتماعي ولكن بمفهوم مختلف عن مفهوم الماركسيّة ، وهو متقبل لكثير من المفاهيم الإنسانية بشرط أن تتصدر عن تكامل جامع بين العنصرين المادي والمعنوی ، وإن كان ما في هذه الأيديولوجيات موجود في الإسلام فالإسلام يقدمه على نحو واسع الأفق ، منن ، قادر على مواجهة التحديات ومصاحبة متغيرات الأمم والبيئات ، أما إذا لم يكن موجوداً في الإسلام فالمسلمون لاحاجة لهم به .

وعلى الذين يريدون من الإسلام (التبشير) للأخطاء المجتمعات والحضارة أن يقروا ، فالإسلام حاكم للمدنیات والمجتمعات ، وعلى المجتمعات والحضارة أن تعدل نفسها لتلتقي به ، وعلى الذين يصارعون الفكرة الإسلامية ويستطلون عليها ويسيخرون منها بالصطدحات (التراثية والسلفية) وغيرها أن يعلموا أن هناك أفقاً جديداً قد أشرق في الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه المنفذ ويتحفظ في النظرة إلى الأيديولوجيات وإلى الكتب القديمة بعد التجربة المزيفة التي تمر بها المجتمعات الغربية اليوم في مرحلة الغربية والتمزق ، وتسلط الغرائز والشهوات واندفاعات المخاوف من الحروب الذرية وسيطرة الأمم ذات الحضارات العريقة رغبة احتواها وصهرها في بوتقة الأهمية العالمية .

ولقد ترددت في السنوات الأخيرة كلمة أزمة العقل العربي

وأزمة الثقافة العربية وهي أزمة معروفة لها طرفاً ، طرف بين التغريبين (الذين يسمون أنفسهم المثقفين تحرزاً من وصفهم بالماركسي أو اليساري أو الاشتراكي أو القومي) والأزمة عندهم تتتركز على هزيمة الفكر الإسلامي وتراثه ولغته وقيمه وتاريخه ، وسيطرة النموذج الغربي والأيديولوجية الغربية المادية العلمانية الإباحية ، أما الأزمة بالنسبة لعالم الإسلام فهي تلك المطروحات المسمومة الملقاة في أفق الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية التي يجري المدفع عنها عن طريق القوى الثلاث : الصحافة والمسرح والبث الإذاعي والتعليم . ولقد جاء التناقض وجاءت الازدواجية نتيجة لفرض المناهج الغربية على العقل الإسلامي (ولا نقول العربي) والنفس الإنسانية التي لها منهاجها القرآني الذي استقر في أعماقها منذ خمسة عشر قرناً ، وحيث لا تجد القيم الإسلامية الفرص المتاحة للتعرّيف بحقائقها في الصحافة أو التعليم أو أدوات الإعلام :

(أولاً) : لا يوجد عقل عربي ولا ثقافة ، والعقل العربي عقل إسلامي أساساً حتى بين غير المسلمين ، والثقافة العربية انتقاماً لها إسلامي لأنَّه لما كان الإسلام هو المصدر فإن الثقافة إسلامية والحضارة إسلامية والعقل إسلامي ومحاولة فصل نتاج العصر عن المراحل السابقة مؤامرة .

(ثانياً) الأساس في بناء أي نظرية تربوية أو ثقافية أو اجتماعية هو الإنسان ، فما هو الإنسان في نظر الإسلام : روح ومادة ووضعه في الكون مختلف (إرادة – مسؤولية – التزام أخلاقي) .

(ثالثاً) : المنهج الإسلامي جاء لبناء الإسلام وحماية على نحو يحول بينه وبين تحديات (الأزمة والجمود والاحتواء) وإعطاء علاج التحديات الثلاثة .

ولقد وقع العقل الإسلامي في أزمة لأنّه تخلى عن المصباح المضيء ، أما الفكر البشري فقد عجز عن الأخذ بيد الإنسان في كل أزماته ، بينما أرسى الإسلام له القواعد القادرة على الخروج من الأزمات ، وال المسلمين لا يرافقون العاصرة ولا يتسبّبون بالتراث ، ولا يقبلون جانباً من العاصرة وجانباً من التراث ، بل يقيّمون العاصرة والتراث على قاعدة الأساس : المنهج القرآني .

لا تسلّيم لما فرضته متغيرات العصر وأزماته ولا تبرير له ولا توقف عن الحركة في الاتجاه الأصيل ، ونحن نعلم أنّ المسلم لا يقع في دائرة الجمود إلا إذا ترك منطلقه القرآنى ، ولا يقع المسلم في دائرة الاحتواء إلا إذا تجاوز الأساس الإسلامي إن المسلمين في هذه المرحلة ليسوا في حاجة إلى الفيلسوف ، ولكن إلى المصلح الذي يقارن بين النظريات ويكشف حقيقة الأمور في ضوء تكامل المفهوم الإسلامي (العقلى والوجدانى) حيث لا فصل بين القيم العقلية والروحية ، وهذا الفصل الذى يدعو إليه العقلاطيون اليوم هو أكبر خطيئة ، وهو الخطير الذى وقع فيه (ديكارت) وانساقت من وراءه حضارة الغرب . إن المسلمين يؤمنون بأمررين (١) تكامل العقل والقلب (٢) تكامل الفكرة والتطبيق .

إن علينا أن نواجه المؤامرات الخارجية ونكشف زيف سموها ، وندعو إلى بلوحة منهج إسلامي أصيل ، قرآنى المصدر رباني الوجهة إنسانى الهدف .

أضواء منهج الإمام الغزالى بعد تسعمائه عام

كتب إلى الأستاذ الجليل الدكتور « زكي على » - المهاجر الإسلامي والمجاهد المقيم في « جنيف » منذ خمسين عاماً - يذكرنا بموعد ذكرى عزيزة غالبية على نفوسنا جميعاً وهي مرور تسعمائه عام على ميلاد الإمام أبي حامد الغزالى (المتوفى عام ٥٠٥ هجرية) وأعتقد أن أحق الناس بأن يحمل لواء هذه الذكرى هم رجال الدعوة الإسلامية الذين قدم لهم هذا الإمام الجليل زاداً طيباً وافراً من العطاء القادر على بناء النفس المسلمة وحمايتها من غوايائل الأهواء ، وما يزال كتابه (إحياء علوم الدين) زاداً طيباً وافراً لكل متعلم ومؤمن ، فقد كتبه في نفس الظروف التي يمر بها المجتمع الإسلامي هذه الأيام والملمون يواجهون طلائع الحملات الصليبية التي أخذت تقتتحم المجتمع الإسلامي اقتحاماً ، فلم يكن أمامه إلا دعوة المسلمين للعودة إلى التابع والتماس الأصالة وإعادة فهم علوم الدين فهم متجدداً أصيلاً مستمدًا من القرآن والسنة في مواجهة غوايائل الفلسفات اليونانية التي بهرت الكثيرين ، وأفسدت عقولهم ، ودفعتهم إلى دائرة الاحتواء .

يتميز الإمام الغزالى بأنه من أبرز مصححى المفاهيم ، وأنه هو الذى أوقف تيار الفلسفة اليونانية التى هي علم الأصنام من أن تستشرى في الفكر الإسلامي ، ولقد واجه الإمام الغزالى عدداً من خصوم الإسلام كالباطنية والدهرية وفلسفـة الإلهيات وعلماء الكلام ، وشجب مفاهيمهم جميعاً وأعلن أن « أسلوب القرآن » هو أعلى الأساليب وأبلغها وأدقها وأقربها إلى مختلف العقول والآنفـوس ، وأنه أصدق من أسلوب المتكلمين وأنفع وأعمـم وأشمل للطبقـات والمستويـات الفكرـية المختلفة ، وأن علم الكلام علاج مؤقت نشـأ في

ظروف معينة للرد على شبهات وشكوك مثارة ، ولا حاجة للطبايع
السلبية والقول المستقيمة إليه ، أما (القرآن) فهو الغذاء الصالح
والماء السائع يحتاج إليهما كل إنسان وينتفع بهما ولا ضرر منه
ولا خطر ، بينما كلام المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس
ويستضر به الأكثرون ٠

وواجه الإمام الغزالى الفلسفة فأثبتت حقها في مجال العلوم :
الطبيعية والرياضية وهاجم (الفلسفة الإلهية) وقال : إن أغلب هذه
العلوم (الفلسفة الطبيعية والرياضية) أمور برهانية ، وأنه لا يخدم
الإسلام إنكارها ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالمعنى
أو الإثبات ، ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية أما الفلسفة
الإلهية فيها أكثر أخطائهم ، وقال : إنهم ما قدروا على الوفاء
بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ، ويرجع ذلك إلى أن الإلهيات
ليست كالعلوم الأخرى (الرياضية والطبيعية) وليس لها مقدمات
ومحسوسات ومبادئ ، و (لهذا كثرت فيها أغلاطهم وتخيلاتهم) ٠
وقال إن خطر الفلسفة على أذهان الناشئة هو أن (يجدوا
 أصحابها مع رزانة عقولهم وغزاره علمهم منكرين للشَّائِع والنَّحْل ،
جاحدين لتفصيل الأديان والملل ، وقد ألدوا وأنكروا الدين تطرفًا
وتكتليساً) ، ووجه إلى (تهافت عقيدة فللسفة اليونان) وتناقض
كلماتهم فيما يتعلق بالإلهيات ، وأن هذه المسائل ليست حقائق علمية :

وحصر الإمام الغزالى خلافه معهم في ثلاثة مسائل :

- ١ - قولهم بقدم العالم ٠
- ٢ - قولهم بأن الله سبحانه لا يحيط علمًا بالجزئيات الحادثة
من الأشخاص ٠

٣ - إنكارهم بعث الأجساد وحشرها . وقال إن هذه المسائل
الثلاث لاتلائم الإسلام بوجه .

ومن هنا فإن الحملة التي توجه إلى الإمام « الغزالى » في عصرنا هذا بأنه خصم للفلسفة والعلم دعوى باطلة وإنما هاجم الغزالى (الفلسفة الإلهية الإغريقية الوثنية) التي لا تتفق مع عقيدة التوحيد ، وكشف عن أثر هذه الفلسفة في نفوس من يتمسحون بها ليثروا الشكوك والأوهام حين ينکرون الأديان والشرائع ، ولم يهاجم الإمام « الغزالى » إلا ما يصادم الشريعة من أفكارهم على نحو علمي بين فيه ضعف استدلالهم وتناقضهم واختلافهم وتهاافت عقيدتهم . وقد استطاع الإمام « الغزالى » بقدراته الفكرية العريضة أن يستصفى الفكر الإسلامي من الدعوات المنحرفة التي اتصلت به عن طريق الشعوبية والباطنية في محاولة لتغيير مفهومه أو هدم مقوماته ، فرد على كل هذه الفرق وكشف عن دسائسها و شبهاها الخفية الدفينة .

وكان محمل دعوته التماس مفهوم الإسلام من القرآن باعتباره المصدر الأصيل الذي بدأت منه رحلة الفكر نفسه ، باعتبار أن منهجه وأسلوبه هو أصفى الأساليب وأقوامها وأبسطها وأبعدها عن التعقيبات ، فضلاً عما له من (منطق) خاص يتصل بالفطرة والفروق ، وبذلك أعاد « الغزالى » صياغة الفكر الإسلامي من جديد . وقد اختار الإمام « الغزالى » منهج (التعليم والثقافة) بدلاً من أسلوب (الجدل الكلامي) وناقش المسائل على أساس (العقل التأدب بالشرع) وهكذا تخطى الإمام « الغزالى » منهج المتكلمين إلى منهج القرآن نفسه ، وفي هذين أعطى حركة اليقظة الإسلامية التي نعيشها

**اليوم الضوء في أن تسلك نفس الطريق : طريق التعليم والتربية ،
وطريق القرآن .**

ونحن الآن بعد تسعه قرون نواجه من جديد حملة مركزة على
الإسلام أشد وأعتى من الحملة التي واجهها من خلال الفكر اليوناني
والحروب الصليبية التي رفع مثارتها « الغزالى » و « ابن تيمية » .

لَا يُصلحُ لِهَذَا الدِّينِ إِلَّا مَنْ أَحاطَهُ مِنْ كُلِّ جُوانِبِهِ

إن الرائد لا يكذب أهله ، وإننا يجب أن نواجه أمتنا بالحقيقة ، وأن ننصح لها من منطلق المسؤولية الملقاة على عاتق أصحاب الأقلام ، والعهد الذي أخذه الله تبارك وتعالى على كل صاحب علم ، ومن منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن نكشف لها أبعاد التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ودينها ولغتها وقرآنها وتاريخها في هذه المرحلة الدقيقة ، وأن نؤكد لها أولاً وقبل كل شيء أنها على الحق المبين ، وأن كل مسلم على ثغرة من شعور العقيدة والأمة ، وأننا يجب أن نوطن أنفسنا أن تكون في رباط دائم ، فقد أعلن إمام هذه الأمة ونبيها وهاديتها أنها في رباط إلى يوم القيمة ، وأن نثق بنصر الله القريب الذي تبدو أضواؤه واضحة من وراء هذه الغيوم ، وأن نؤمن بأن كل الأيديولوجيات والمناهج والدعوات والنظريات التي طرحتها مدرسة الفكر البشري القائم على الهوى والمطامع واللذات والانحلال قد سقطت تماماً ، وأن كثيراً من المسلمات التي عاشت موضع القدسه قروناً عدة قد نكشف أنها باطلة على نحو الذي أعلنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً ، يجعلونها قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً منها .

ومن هنا فنحن مطالبون بالوقوف في وجه أعاصر الغزو التغريبي التي ماتزال تهدف أفق فكرنا الإسلامي بالسموم ، فتتصدى لمن يحاول النيل من الإسلام والحط من شأنه ، والذين يجرون وراء التأويلات والفلسفات والمحاكمات اللغوية بقصد الخروج من دائرة الفهم الأصيل المستمد من المنباع ، الذي لا يقبل أن يكون عامل تبرير للانحرافات الاجتماعية أو قبولها تحت أي اسم من أسماء الرخص

أو الظروف ، ولابد من التشبث بالقرآن الكريم والسنّة المطهرة واعتباره المنار والمصدر والمورد لكل منطلقات الفكر والثقافة والأدب وعلوم الاجتماع والنفس والسياسة والأخلاق والتربيّة ، وقيام المنهاج العلميّة التي تتسلّم كل القيم وتصهرها في بوتقة المنظومة الإسلاميّة ، إيماناً بأنّ هذا هو المنطق الوحيد لبناء المجتمع الريّانى ، وتعديل التشريعات وبرامج التعليم بما يتنقّل مع القرآن الكريم ومبادئه الإسلام السمحّة ، والاهتمام بالإعلام الإسلامي ودعمه ، والكشف عن حق الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه من الاحتلال الصهيوني ، وأن الخطير الصهيوني موجه إلى كل المسلمين دون استثناء وتوعية الجماهير المسلمة بالخطر الحدق بالعالم الإسلامي من التوسيع الصهيوني التلمودي ، وعلى ضرورة مواجهة هذا الخطير بالجهاد دفاعاً عن النفس والأرض والعقيدة .

ولنعلم أن جميع الأزمات التي يواجّها العالم الإسلامي اليوم ، سواء في مجال الاقتصاد والاضطرابات والقروض مصدرها سيطرة الاقتصاد الربوي ، وفي مجال الاجتماع فإن جميع القضايا المطروحة على الساحة اليوم من تعاطي المخدرات وعدم الأمانة في التجارة والرشوة والتغالي في المھور ونقص أماكن الإيواء لطالبى الزواج وأغتصاب الفتيات والجشع في الحصول على الأرزاق والإنفاق المسرف الفاسد ، كل هذه وأولئك لا يمكن أن تحل إلا عن طريق تطبيق النهج الإسلامي الذي يقوم على التوقى من وقوع الجريمة والردع ، فالشريعة الإسلامية تعلم أهلها أن يظهروا موارد مكاسبهم وأن يحسنوا إنفاقهم ، بعيداً عن الإسراف والترف الزائد وذلك حين تحميهم من مسارب الخمر والربا والتحلل الاجتماعي والفساد الإباحي .

إننا مطالبون بالصمود أمام قوى الباطل ، جيلاً بعد جيل

وصفا بعد صف وإلا فنحن من الذين تولوا يوم الزحف ، وإن المسلم الذي باع نفسه وما له يجب أن يكون قادراً على الصمود ، وعلى تصحيح المجتمع ، بالاشتراك فيه لا بالعزلة عنه ، وبتحرير قيمه ، وبإقامة القدوة القدرة على التغيير ، ونحن نعلم أن القوى التي تحمل لواء الباطل مسلحة وقوية ومعها أدوات الإعلام والنفوذ ولكن الكلمة الربانية الخالصة أقوى من كل مدافع الدنيا جميعاً ، وأن الانحياز إلى جانب الله والاعتماد عليه والدفاع عن كلمته يحقق أحد أمرين : الأمور الأولى الفوز بمكانة الشهداء ، الثاني انكسار الموجة قليلاً حتى تتكشف الغمة ويصدق في هذا قول الداعي الصادق المؤمن :

« إن أمانة الرسالة تفرض على المسلمين أن يكونوا دوماً على استعداد للمعركة فإن عدوهم يفرض عليهم المعركة فرضاً فعلى كل منهم أن يعتبر نفسه على شفرة من ثغور الإسلام فلا تؤثرون من قبله ، أما القاعدون من المسلمين الذين يظنون أنهم بأخلاقهم وصلاتهم وصيامهم يؤدون واجبهم تجاه هذه المعركة المصيرية فليعلموا أنه لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه وأنه لن ينتصر آخر هذه الأمة إلا بما انتصر به أولها أي بالإيمان والجهاد والتضحية والثبات » .

« وإن معركتنا مع أهل الباطل ليست معركة قومية أو وطنية أو اشتراكية ، كما تصورها البعض لكن يفقد المسلمون القوة المادية والمعنوية ولكن معركتنا إسلامية مصرية أن يكون الإسلام أولاً يكون » .

« إن الإسلام دين قوة وعزّة ويفرض على أهله أن يقيموا مجتمعه في أرض الله وأن يجاهدوا في سبيل ذلك » .

احذروا بداعل الإسلام

تجرى المحاولات التغريبية لوضع بداعل الإسلام في منطلق التيار الفكري المتدايق اليوم تحت اسم الثقافة العربية أو الفكر العربي أو الأدب العربي ، وكلها مسميات تقصد قصداً إلى هجر الانتساب الإسلامي ليكون لها القدرة على الانحراف نحو المفاهيم الغربية ، تهدف هذه البدائل إلى :

أولاً : تغيير طابع الإسلام في الأدب والثقافة والفكر وتعديل المقاييس .

ثانياً : إضفاء طابع التشاؤم واليأس والكراهية للفكر الإسلامي الأصيل .

ثالثاً : خلق روح الانسياطارية والاستعلاء بأحد العناصر كالأدب أو الاجتماع أو الاقتصاد منفصلة عن تكامل الإسلام الحقيقي الجامع .

رابعاً : فرض النموذج العربي على المجتمعات .

خامساً : محاولة القضاء على روح الثقة والإيمان بالمنهج .

سادساً : إدخال مصطلحات غربية على المفاهيم الإسلامية بداعل مثل تصوير الشورى الإسلامية بأنها الديمقراطية والعدل الاجتماعي بأنه الاشتراكية .

سابعاً : محاولة رد الأقطار العربية الإسلامية إلى ماضيها السابق للإسلام وإعلاء تاريخها الوثنى القديم كالفرعونية والفينيقية وغيرها .

ثامناً : محاولة فرض أسلوب العيش الغربي على الأمة الإسلامية .

تاسعاً : تفريغ المسلمين من الداخل من قيمهم القرآنية وثقافتهم وتراثهم حتى يصبح من السهل عليهم أن يقبلوا أي فكرة وافدة .

عاشرًا : إشاعة أسلوب غير إسلامي في الحوار والجدل والمسلسلات يحجب مفاهيم الإسلام وأدابه وروحه .

وفي هذه المحاولات المطروحة لا يسمونه صياغة مشروع عربي حضاري لواجهة تحديات العصر تغيب عن الساحة أول قاعدة لأى مشروع وهى الأصالة الإسلامية التى ينسف غيابها أي مشروع ثقافي أو حضاري ، وهم يحاولون الادعاء بأنه لكي يعبر العرب الفجوة من التخلف إلى التقدم يجب عليهم أن يأخذوا بالأنموذج الغربى ويسوقون ذلك مغلقاً بكلمات عربية خداعاً وتضليلاً . بينما النهج الحقيقى للخروج من التخلف هو شىء واحد لا سبيل إلى التماس غيره ، هو : تطبيق النهج الإسلامي على مختلف نواحي الحياة واعتماد التقسيم الإسلامي فى فهم الطبيعة والحياة والمجتمع والحضارة وليس هناك سبيل غيره ، بعد أن مررنا بالتجربة الواسعة من خلال الاحتواء الغربى والماركسي جمیعاً فى عديد من النماذج التى شهدتها العالم الإسلامي وخرج منها خائفاً يتربص ، بل إن هذه الدعوة المسمومة التى تدعى إلى إحياء الثقافات القديمة السابقة للإسلام ، والتى انهارت تماماً وماتت لغاتها ، هي محاولة مضلة زائفة ، كذلك فإنه ليس من المقبول أن يجرى الحوار بين منهج القرآن ومناهج البشر الزائفه التى أثبتت بعد أكثر من أربعة قرون عجزها عن العطاء فى بيئاتها . وإنما يريد هؤلاء التغريبيون أن يوجدوا لهم منفذأً بعد أن لفظتهم الأمة ، واجتاحتهم الصحوة الإسلامية بمفاهيمها الأصيلة والاستجابة الضخمة لها وانصراف الأنصار عنهم وحدث

هذه الانتصارات الضخمة بدخول عدد من كبار علماء الغرب وأساطير الفكر الغربي في الإسلام ولируется هؤلاء أنه لا توجد في أفق هذا العمل إلا قضية واحدة هي قضية : المسلمين ومنهج الله ، فتختلفون مرتبط به ، وانتصارهم مرتبط به ، فإذا عادوا إليه عاد إليهم النصر والتمكين في الأرض ، وما كل هذه المحاولات من دعوة إلى كتابة التاريخ أو تجديد التراث على مفهوم الماركسيّة (الجدلية التاريخية) أو مفهوم الغرب (الجبرية المنطقية) ما هي إلا محاولات تبديد طاقة هذه الأمة وتحويل وجهتها الجادة نحو الأصالة والتابع ، إلى التيه الذي لا تعود منه .

إن محاولة جعل محور الفكر والثقافة في بلادنا هو الأرض محاولة باطلة ، وإعلاء شأن مصر أو سوريا أو العراق أو غيرها لا يحقق إلا الفرقة ، وإقامة أسوار الانفصال ، وإنه لا يجمع هذه الأمة إلا الإسلام وحده ، وما يحاول أمثال (أنور عبد الملك وغيره) تصويره من دور مصر ، هو من الإسلام وإلى الإسلام ، فإن هذا العطاء الذي يتميز به تاريخ مصر أو الشام أو المغرب أو الاندلس ما هو في الحقيقة إلا ذلك النور المبين الذي اقتحم العقول والقلوب فأشرق فيها ضياء الإسلام فصنعت تلك الحضارة : حضارة التوحيد التي أزهقت روح الوثنية والتعدد والاستعلاء بالجنس والرهبانية وغيرها ، وفتحت أمام البشرية طريق الإنسانية المتصلة بربها ، المتجهة لانشاء مجتمعه والمسلمة وجهها إليه ، ليس هناك شيء في الجاهلية مقبول في الإسلام إلا من تراث الحنفية السمحاء ، تراث دين الله ، وليس شيء في الإسلام ، سواء في مصر أو الشام أو العراق أو الهند أو تركيا أو فارس أو أرخبيل الملايو إلا هو عطاء الإسلام الحقيقي الراfter الخالد ، لقد أعطى الإسلام قانونا لا يتختلف : هو قانون الانبعاث من الداخل فحيثما ظهرت الأزمة وتوجهت الأمور وافتتحت قوى الغزو بلاد المسلمين يندفع الإسلام ليقدم قدراته

القوية على العودة إلى المنابع والتماس طريق الله ، فسرعان ما تنهزم
قوى الباطل ويعود المسلمون إلى امتلاك إراداتهم وبناء مجتمعهم
ونشر كلمة الله في العالمين .

ونحن الآن على مفترق الطرق : إما إلى مزيد من التيه الذي
يخدعنابه التغريبيون ، وإما إلى طريق الله الحق القادر على تحقيق
النصر : طريق القرآن ، حيث يتحقق قانون الانبعاث من الداخل .

نحن أساتذة الغرب ولن تكون تلاميذه

لقد نكتشف الحقائق التي تضم الأمور في نصابها بالنسبة لدورنا التاريخي الذي قمنا به في بناء المنهج العلمي التجربى والحضارى العالمى ، وقد أدينا دورنا خلال ألف سنة كاملة ، والمستقبل للإسلام ، وسوف نعود كرهاً أخرى إلى امتلاك إرادتنا والقيام بدورنا العالمى ، ولا بد أن نثق بذلك بالرغم من الغيوم الكثيفة التي تحجب الشمس ، ولا بد أن ندرك سنة الله في الوجود والأمم والحضارات ، وأن نفهم طبيعة العصر وكيفية إحداث التغيير ونبداً من القاعدة : من بناء الفرد إلى بناء الأسرة وصولاً إلى بناء المجتمع . تربية الأمة أولاً على الإيمان بالله ، وإسلام الوجه له تبارك وتعالى ، ومنه تطلق إلى مختلف غاياتها وفي مقدمتها التخلص من الأزدواجية في الفكر واللغة وتصحيح المفاهيم وكشف أخطاء التغريب والغزو الثقافي وتنقية الانحراف ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإعادة فريضة الجهاد إلى مكانها الصحيح من الإسلام ، والإيمان بأن الحديث المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عن جهاد النفس لم يثبت ، وهو المطلقاً الذي تريد أن تطلق منه القاديانية والبهائية ، ولا بد من صناعة القدوة المؤثرة في مجال الأبوة والأمومة والمعلمين والربط بين المنهج والتطبيق والارتباط بين الفكر النظري والممارسات السلوكية ، والحلولة دون زرع اليأس في النفس المسلمة المفطورة أساساً على التقاؤل والثقة بالله .

ويجب أن نعلم أن « القرآن الكريم » هو منهاجنا الأصيل الذي يقدم الأسس العامة لنطاقات الحياة والعمل والسعى والعمaran ، وهو الذي يقدم الأسس العامة للتقدم على أساس تحرير الإنسان من

الخوف ، وقيام العقل في أحضان الوحي والإخاء الإنساني ، وقيام التقدم روحاً ومادياً ، وقيام الأصالة والتجدد ، وارتباط الثوابت والمتغيرات والعقل والقلب ذلك أن مؤهلات القيادة العالمية تقوم على الاعتراف بالبعد الرباني للمجتمع والحضارة ، والتسليم للسيد الأكبر ، وتوجيهه الحضارة والمجتمع الوجهة الربانية القائمة على الإيمان بالله وأخلاقية الحياة .

ولنعلم أن الحضارة منذ خمسماة عام وهى تجرى في محظيات المعاادة لقوانين الله تبارك وتعالى : (الإباحية الإسراف - التحلل) ولقد تكشفت الحقائق للناس في الغرب ، وعرفوا فشل الليبرالية والماركسيّة جميعاً ، وهم الآن يطالبون بمنهج جديد ، ولقد أعطيت التجربة المادية أكبر قدر من الفرصة ، ومن إملاء الله تبارك وتعالى لها ليكتشف الناس زيفها ، ويقف العالم اليوم على أبواب « اليأس » الذي يسلطه الله على الظالمين ، لا مفر ولا مخرج إلا باللتصرع إلى الله والتماس رضاه بتطبيق منهجه (إذا جاء هم بأمسنا تضرعوا) فالبشرية الآن تطلب منهجاً جديداً ووجهة جديدة ورباناً جديداً لسفينتها ليتجه بها إلى شاطئ النجاة .

ولا ريب أن كل الدلائل تشير إلى أن الإسلام قادر لا محالة نظراً لإفلات وعجز الفلسفات الوضعية ، ابتداء بالرأسمالية الليبرالية وانتهاء بالشيوعية المادية ودليل ذلك أن العالم بما يحسب ألف حساب للأمة الإسلامية ، وباعتبار أن الإسلام بإمكاناته الروحية الفكرية هو أهم القوى الجوهرية في العالم .

وبالرغم من علامات التعويم المتعمد فإن الأمة الإسلامية ستعود إلى سابق مجدها ، إذا هي أحسنت القMASها لمنهج الله تبارك وتعالى ، وحطمت القيود التي تقبل خطوها .

إن نقطة الانطلاق هي تصحيح الهوية والعرف والفهم ، وإعادة المسلمين إلى الأصالة والمنابع عن طريق التعليم والتربية والثقافة ، علينا أن نتحرر من محاذير العودة إلى إحياء تراث الفرق القدمية تحت ستار دراسة الفكر الإسلامي فإن مصطلحات المعتزلة والأشاعرة وغيرهم قد غفى عليها الزمن ولا يفهمها الجيل المعاصر ، كذلك مصطلحات الفلسفه والتتصوف الفلسفى فكلها لم تعد لها وجود في مجتمع لم يشهد تلك الخلافات ، ولنذكر أن رجلا سأله « مالكا » فقال : من أهل السنة يا أبا عبد الله ؟ قال : الذين ليس لهم لقب يعرفون به ، لا جهمي رافضي ولا قدرى .

فالمسلمون الآن يتوجهون إلى مفهوم السنة الجامع ، ويتحررون من شبكات المناهج الوافية التي تريد أن تغرقهم ، ولنا دعوة إلى إصلاح الدنيا وإقامتها على حدود الله ، وليس إلى ترك الدنيا والزهد فيها والانسحاب منها ولا إلى الإسراف في الاستسلام للمغريات التي تحطم الشخصية الإنسانية ، وليس في مفهوم الإسلام : (لا خوفاً من نارك ولا رغبة في جنتك) ولنعلم أن للمصطلحات مفهوماً مختلفاً من الفكر الإسلامي والفكر الغربي : وخاصة مفهوم السلفية والتقدم والعصرية والمعاصرة .

وقد دعا الإسلام إلى تكوين الوجدان الإسلامي الذي يحول دون وقوع الجريمة والتخلق بالأخلاق الإسلامية والتآدب بأدب الإسلام وجعل ذلك فرضًا واجبًا وطريقة الإسلام في مكافحة الجريمة هي منعها قبل أن تقع بمحاصرتها في زوايا النفس ومجال الضمير ، وقبل أن تصل إلى مجال اختصاص الشريعة (على حد تعبير الدكتور حسان حتحوت) .

وقد أشار « السيد جمال الدين الأفغانى » إلى عبقرية حضارة

الإسلام فقال إنها تتميز عن غيرها من الحضارات بالوسطية التي وازنت بين ما يحسبه الآخرون في الحضارات الأخرى متناقضات لا سبيل إلى تعايشها ، فضلاً عن التأليف بينها في منظومة فكرية وحضارية وسلوكية واحدة ، الموازنة بين العقل والنقل ، بين الغيب والشهادة ، بين الحكم والشريعة ، بين الدين والدنيا ، بين الدنيا والآخرة ، بين الفرد والجماعة ، بين المادية والإيمان ، بين الشك واليقين ، بين السلام وال الحرب ، بين السيف والقلم .

وهناك حقيقة لا سبيل إلى إنكارها وهي أن الإسلام جاوز مرحلة التبعية ودخل الرشد الفكري ، وأن التحديث المادي والتقني ممكن للعالم الإسلامي دون أن يفني المسلمين في الحضارة المادية أو الفلسفات الإباحية وأن الإسلام اليوم يقتسم كل قارات العالم اقتحاماً سلرياً ، وأن الغرب نفسه أصبح يعتقد أنه لا طريق للبشرية إلا طريق الإسلام .

ولقد جعل الله تبارك وتعالى المسلمين أمة وسطى ، وأعطاهما ثروات وذخائر ضخمة ، ودعاهما إلى المقاومة والمواجهة والرابطة في الشغور لإعداد القوة لإرهاق أعداء الله وحماية دينها وثروتها وأن تبقى دائماً على تعبئة حتى لا يفاجئها عدوها بالإغارة عليها ، وأن تتحرر من احتلال أرض الإسراء .

والعالم الإسلامي مؤهل اليوم لأن يصبح قوة عالمية فعالة قادرة على أن تتحكم في التوازن الدولي ، وأن ما يردد البعض في الغرب من أن العالم الإسلامي لم يبرز كقوة سياسية إلا بسبب البترول هو تصور غير حقيقي .

إن علينا مهمة تحصين المسلمين ضد التيارات الهدامة ، وكشف أساليب الملحدين والتغريبيين والكشف عن زيف الفئات الضالة وفضح

مخططاتها وأفكارها ومؤامراتها ضد المسلمين ، ولنعلم أن أخطر ما نواجهه هو أن نعيش بعواطفنا وبعقول غيرنا ، فنحن نمارس حياتنا كما يريد أعداء الإسلام ، ولا بد من العودة إلى المنابع بأسلمة التعليم ، وترشيد أدوات التسلية والترفيه ، وإحياء روح • الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتطبيق الشريعة وبناء المجتمع الرباني ونقطة البدء هي الإيمان بالله ، واعتماد القرآن منهجا ، والولاء لزعامة الرسول — عليهما السلام — وتقدير الثوابات والمتغيرات والتحرك داخل دائرة ما أحل الله تبارك وتعالى ، والإيمان بوحدة البشرية ، ووحدة الدين ، وشراء الله وبيع النفس •

مؤامرة الصمت

إلى أي مدى كان أثر الإسلام عميقاً في الفكر الأوروبي
المسيحي منذ مطالع النهضة؟

إن هذا السؤال قد أجابت عليه في العقود الماضية من القرن
التاسع عشر الميلادي وهذا القرن إجابات مختلفة ، ولكنها في
مجموعها لا تستطيع أن تعطى الحقيقة التي كانت تتخفي وراء كلمات
عاشرة ، دون أن تكشف تماماً عن الواقع الصحيح . والذى كان بارزاً
واضحاً – إلى حد ما – هو أن جماعة الصليبيين الذين جاءوا مع
الحملات الصليبية ، وعادوا إلى أوروبا بعد هزيمة الحملات ، قد حملوا
معهم حقيقة مزعجة للكنيسة وأهل الغرب ، وهي عدالة « صلاح
الدين » وال المسلمين وتفوقهم العلمي .

وقد حاربت الكنيسة هذه المحاولة حرباً شديدة ، وقد تبدى لها
أن تتحول من حرب السيف مع المسلمين إلى حرب الكلمة على النحو
الذى دعا إليه « لويس » التاسع ، والذى بدأت بعده مباشرة ترجمة
القرآن والبحث عن النقاط التى يمكن عن طريقها إثارة الشكوك
حول : الإسلام والقرآن .

غير أنه بقيت هناك قضية أخرى هي قضيةمحاكم التقتيش
والحرب التي شنتها أوروبا على العلوم ، وما حدث « لجاليليو » وغيره
بقيت هذه القضية في نظر الباحثين منفصلة شيئاً ما حتى تبدتاليوم
مجموعة من الحقائق تجعلنا نسلك هذا التطور أيضاً في نفس الخط
السابق ، وأن نعلن بغير تحفظ أن حرب محاكم التقتيش كانت موجهة
أساساً إلى العلم الإسلامي الذي أخذت به أوروبا وخاصة ما يتعلق
بالمنهج العلمي التجربى ، والذى كان سبباً للانفصال الشديد بين

العلم والكنيسة (لا بين العلم والدين والذى أفضى إلى العلمانية على النحو الذى عرفته أوروبا ، وخصوصة العلم الشديدة للاهوت المسيحى جملة ، والخروج من ذلك كله إلى الفلسفة المادية الخالصة التي أنكرت الدين) .

وقد تبيّن — وهذا الرأى غريب في ظاهره ، ولكن عند تبيان الدلائل يتتأكد — أن محاكم التفتيش قد قامت فعلاً لقتل العلماء الذين تعلموا في مدارس المسلمين ، فقد ظهرت طائفة الرهبان الذين عرّفوا خطر الإسلام على دينهم وعلى المجتمع الأوروبي وبدأوا المقاومة بإثارة الشكوك ومن هنا نجد أن القضية واحدة ، وأن أحد شقيّاهم الصليبيون الذين عادوا إلى أوروبا يلهجون بسماحة الإسلام ، والشق الآخر هو العلوم الإسلامية التي فتحت أمام علماء أوروبا حقائق جديدة مخالفة لما جاء في الكتاب المقدس وأهمها (دوران الأرض) وهو ما يتعارض تماماً مع ما جاء في مفاهيم الكنيسة عن (مركزية الأرض ومركزية الشمس) حيث نبتت نظريات « بطليموس » إلى جملة آراء لم يسمح الآباء المسيحيون بمناقشتها أو التشكيك في صحتها ، وقد كانت نظرية رجال الدين إلى أحجام السماء مختلفة ، ولكن العلم أبطلها جميعاً فقد قيل « إنها كائنات حية ، ، وقيل إنها موطن الملائكة ، وقالوا إن السماء قبة صلبة تحيط بالأرض وأن الأجسام السماوية مصابيح معلقة في السماء » .

ولقد انتصر الطريق الذي استعصم بالإسلام في مجالات عدة :

أولاً : في التحول من الرهبانية إلى التزعة العلمية الخالصة وسقوط النظريات اليونانية القديمة القائمة على التأمل .

ثانياً : في إلغاء الصور والأيقونات وغيرها الموجودة في الكنائس .

ثالثا : في العمل على تفسير الكتاب المقدس بدون التقيد بما فرضته الكنيسة من صكوك الغفران أو غيرها من الدعوات .

ولكن هذا الطريق الإسلامي إلى العلم ، الذي اعتمد المنهج التجريبي الإسلامي الذي غير وجه الحياة في الغرب تغييراً شديداً وأدخله مرحلة جديدة مختلفة عبر مراحلتين : الوثنية اليونانية الرومانية ، ومرحلة التفسير المسيحي القائم على الصلب والتثليث والخطيئة ، هذا الاتجاه لم يسلم لما رسم الإسلام ، ولكن سيطرت عليه القوى التي جاءت من بعد والتي أطلق عليها اسم (التوبيخ اليهودي) والتي أخرجته من الفلسفة المدرسية المسيحية التي كانت تعتمد على المثالية إلى الفلسفة المادية ، والانحراف نحو مذاهب اللذات والإباحة والشهوات التي فرضتها نظريات (ماركسي) و (فرويد) و (دوركايم) (المدرسة الاجتماعية الفرنسية) .

وبذلك خرج الغرب عن منطلق الإسلام في العلم تحت تأثيرات شديدة عنصرية مستعلية بأن الغرب هو صانع الحضارة ، وأنه العنصر الأبيض الذي لا يهز ، والذي تنكر تماماً لدور الإسلام وتجاهله ، ووقف أمامه موقف (مؤامرة الصمت) حيث نشأت فكرة العداء الخطير ، وبرزت دعوى أن الإسلام سيطر على مساحات شاسعة كانت تحت حكم الغرب والرومان ، وأن الغرب لا بد أن يثار لذلك وأن يستعيد هذه الأرض ، وهي الصيحة التي بدأت بها حملة الاستعمار الغربي والتي بدأت منها معارك الحروب الصليبية التي ظلت ترتفع في القتال على العالم الإسلامي مدى قرنين من الزمان لا تتوقف ، حتى هزمت تماماً ودمرت قوتها . ومن هذا المنطلق بدأت معركة الاستعمار الحديث ثم الغزو الصهيوني وهي جماعياً تحمل الأحكام الشديدة إزاء الإسلام من ناحيتين : من ناحية زحفه الإسلامي الواسع الذي تدهش له الكنيسة ، والذي أصبح يكسب

الآن أقطابا من الفكر الغربي ، ومن ناحية هدفها إدامة السيطرة على مقدرات البلاد الإسلامية الراخمة ، وذلك عن احتواء هذه الأمة فكريأ وثقافيا وعقائديا حتى يمكن صهر هذه الأمة في بوتقة الحضارة الغربية العالمية أو الأممية ، ويقوم على ذلك اليوم ثلات قوى : هي الصهيونية والغرب الشيوعية ، وكل منها لها أهدافها من وراء استشرافها الذي يبيث السموم من خلال المناهج التعليمية والثقافية ، وعن طريق وسائل التقليدية والإعلام ، وعن طريق الصحافة والمسرح .

وقد تتبه المسلمين لهذه المؤامرة الخطيرة : مؤامرة الحصار والاحتواء ، وتأخير الأمة الإسلامية عن امتلاك إرادتها والقيام بدورها الحقيقي في تقديم الإسلام إلى البشرية ، وإنقاذ العالم من أزمة الحضارة التي هي أزمة الإنسان المزق نفسيًا والمغرب والمدمر تحضنه القذائف النووية التي يمكن أن تدمره في أي لحظة .

ولما كانت حركة المقاومة لحملة الاحتواء العالمية التي تحاصر العالم الإسلامي اليوم لابد أن تبدأ من الداخل ، فإنها لابد أن تبدأ بالعودة إلى المنابع والتماس الأصالة وإقامة منهج الله ، بال التربية الإسلامية الحقة ، وتكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة وهذا هو المنطلق الحقيقي للصحوة الإسلامية التي تجري مؤامرات كثيرة لإجهاضها أو الحيلولة بينها دون الوصول إلى غايتها الحقيقية .

ونحن نرى اليوم مؤشرات كثيرة تدل على أن الصحوة ماضية في طريق الأصالة في مقدمتها أسلمة المناهج ، وظهور العلوم الإسلامية في الاجتماع والاقتصاد والأخلاق والنفس ، وظهور مدرسة الأدب الإسلامي ولا بد من المقاومة المستمرة ، والمواجهة المستمرة لهذه المطروحات المسومة التي تلقى يوميا في أفق فكرنا الإسلامي لترسيف وجهته أو إفساد غايته .

لن تعود تجربة القومية

الرد على محمد حسين هيكل

إن الفكرة القومية التي يدافع عنها العلمانيون تهدف إلى التمييز على الخط الإسلامي الواضح الآن . لقد عجزت الفكرة القومية وفي يدها السلطان الحاكم سنوات طويلة عن أن تحقق شيئاً ، فكيف تستطيع الآن وهي منبوذة ، مرذولة فاشلة ؟ إنها لن تقوم لها قائمة إن الذين يتحدثون باسمها هم الذين يصرون على موقف عرفاً به وعرف بهم ، فهم لا يستطيعون أن يتراجعوا عنه ، وإذا تراجعوا عنه فإلى أين وقد عاشوا حياتهم كلها دعاة له حين كان مرتبطاً بالدكتاتورية والاستبداد والتصفيات الجسدية ؟

إن الرابطة العربية لن تكون علمانية ، كما كانوا يدعون أو يرسمون لها ، لقد حطمت هذه القيود ورأى أن طريقها يبدأ من القوة الإسلامية الجامعة ولا ينفصل عنها ، إنها لن تستطيع أن تتحقق وجودها منعزلة عن الوجود الإسلامي الواسع ، ولا عن المفهوم الإسلامي الأصيل . إن هناك من يريد أن يبقى هذا الصوت النكود يتتردد ليموه على الوثبة الصحيحة ، ولذلك فهو يغذون مفهوم الأمة العربية المنفصلة عن الأمة الإسلامية بمفاهيم الإسلام لا بمفاهيم العلمانية ، ولا في ظل الدعاوى التي تستمد رموزها : من شعارات الثورة الفرنسية .

إن هؤلاء الذين يتحدثون عن الخطر الديني وهم يعنون الصحة الإسلامية يريدون أن تظل أكاذيبهم وتفسيراتهم الخادعة — التي صدرها لهم « ساطع الحوى » و « مشيل عفلق » ممتدة ، وقد علموا

أن كل باطل لا بد أن ينكشف ، وأن كل ضلال لا بد أن يزهق ، إنهم يتحدثون عن الصحة الإسلامية وكأنها خطر شديد يهدى الأمة إلى الرجعية ، ولم يعلموا أن أصاليلهم في الحديث عن القومية حولت الناس عن طريقهم الحق ، وخدعوهم بمفهوم وافد مضلل ، ورأوا أن الخطر في أن تعود الأمة إلى الأصالة وأن تسقط مفهوم القومية الوافد المضل وأن تعود إلى مفهوم العلاقة الحقيقة بينعروبة والإسلام ، باعتبارعروبة نتاج الإسلام ، وعطاءه فيما كان للعرب وجود قبل الإسلام ، ثم إنه الإسلام الذي أدخلهم إلى المجال العالمي وفتح لهم الآفاق .

إن هذا الدين الذي يتحدثون عنه ويفرقون من التجاء الناس إليه اليوم ، ليس هو إلا الإسلام الجامع بين الدين ومنهج الحياة ، وبين العقيدة ونظام المجتمع ، وللعلم إخواننا هؤلاء أن هذه المفاهيم التي بدأت في الإرساليات التبشيرية لتصنف مفهوماً وافداً للقومية يسقطون به الخلافة ، ويعتمدون به إسرائيل وينشئون صراعاً بين الطورانية والعروبة للقضاء على الوحدة الإسلامية الجامعة ، هذا المفهوم الوافد الذي يتحدثون عنه ، وهذه الكراهية المقيته منهج لإمبراطورية العثمانية ، كل ذلك قد كشفت الواقع الصحيح وجه الحق فيه ، وزالت الغشاوة التي وضعت على العيون سنوات ٠٠ نعم إنعروبة الآن تدخل في بحر الإسلام الواسع ، وليس بحر الدين بمفهوم الغرب لأن قضية فلسطين هي قضية الإسلام والمسلمين ، وليس قضية العرب ، والعجيب أن هؤلاء يقبلون بمفهوم : إسرائيل دين وقومية ، ولا يقبلون بمفهوم : الإسلام جنسية للمسلمين جميعاً ، لقد حاصر التغريب مفهوم الإسلام الصحيح فحجبه عن طريق دعاء القومية بينما أتيح لهم أن يعبروا عن أنفسهم بحرية ، إنهم يدعونا إلى الفصل بين الدين والدولة بينما هم يرون أنهما بمثابة شيء واحد .

ألا فليومن .. هؤلاء أن التجربة قد فشلت ، وأنها لن تعود ،
لأن الزمن لا يرجع القهقري ، وأنه لابد من أسلوب جديد لمفهوم
جديد حتى يمكن الخروج من الحلقات المغلقة جمياً ، وأن مفهوم
الإسلام اليوم هو قادر على هذا العطاء .

إن كان هناك جيل كامل يبحث عن الدواء في الدين ، على حد
تعبير « محمد حسين هيكل » – الذي هو الإسلام – فإن ذلك إنما
 جاء نتيجة الفشل واليأس الذي صدم النفوس خلال ثلاثين عاماً من
مفاهيم وافدة مضللة تحاول أن تحجب الطريق الصحيح ، وتدفع
بالإمامية الإسلامية كلها إلى التيه .. لقد جاءت قوميتهم بالهزيمة
والنكبة والنكسة ، وقدمت للعرب والمسلمين الخدعة على أنها
النصيحة ، ولما كان الرائد لا يكذب أهله ، وقد كذبوا على أهلهم ،
فإنهم قد فقدوا ثقة الناس فيهم لكتابهم وخداعهم وتضليلهم مما
أفسحت لهم الصحف أعمدة ، أو أقيمت لهم مؤتمرات ، أو ارتفعت
لهم صيحات من أسماء لمعت في ظلام الماضي وحان لها أن تتطفئ .

إن الهوية التي عرفها العرب بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية
كانت هوية مدخلة لأنها فرغت من ترابط الإسلام بالعروبة وقد قدمت
لهم عن طريق مفهوم الغرب بعلمانية ومادية وتجربته المختلفة تماماً ،
فلليس هناك وجه شبه بين علاقة الكنيسة الكاثوليكية والغرب ، وبين
الإسلام والعروبة إنها هوية باطلة لأنها فقدت أهم مقوماتها وهو
الإسلام منهجاً ، والأخوة الإسلامية طريقة يربط بين العرب والأمة
الإسلامية من ترك وفرس وهنود .

إن الثقافة المشتركة الحقيقية ليست هي الثقافة العربية ولكنها
القرآنية والسنّة والفقه ، وهي الثقافة الإسلامية الجامعة التي تربط
ألف مليون مسلم برباط لا إله إلا الله ، ووحدة الفكر والعقيدة
والإيمان .

لقد مرت تجربة القومية العربية بمرحلة المد ، ومرحلة الهبوط ، في خلال ظروف حاول التغريب خلالها فرضها على العرب والمسلمين ، وسوف لا تعود هذه التجربة مرة أخرى ، ولن تكون لها أية قائمة جديدة مما حاول ادعاء ذلك « محمد حسين هيكل » وغيره . إن النظرة إلى الأعمق تؤكد أن العرب والمسلمين يبحثون الآن عن المذاهب والجذور ، إن العرب اليوم يتحركون في إطار الأمة الإسلامية ويعتبرون وحدتهم مرحلة على هذا الطريق ، ويعرفون أن الطريق إلى ذلك أمران لا ثالث لهما : الجهاد لاسترداد الأرض المقدسة ، وإقامة المجتمع الإسلامي بتطبيق الشريعة الإسلامية .

وعلى الأقل فقد تكشف اليوم للناس حقيقة دعوة القومية العربية المضلة وما كانت تضرر من أحقاد لإسلام ومحاولة لهدمه .

المواجهة مع الغرب لن تتوقف

لا سبيل إلى دراسة تاريخ الإسلام أو تاريخ العرب أو الواقع الإسلامي العربي في أي حلقة من حلقاته وصورة من صوره ممزقة مفرقا ، فإن هذه المحاولة – فضلاً عن أنها من أعمال التغريب والغزو الثقافي – فإنها تحول دون الوصول إلى الحقيقة ، ذلك لأن الحقيقة لا يمكن أن تعرض إلا كاملاً ، وإن المواجهة بين أي جزء من عالم الإسلام وبين خصومه هي مواجهة مع عالم الإسلام كله ، وإنما تجزئة المعارك والمواقف تحول دون إثارة الأجزاء الأخرى ، بينما تكون النتائج بعيدة الأثر في كل الأجزاء والأبعاد، وقد علمنا الاستعمار أن ننظر نظرة جزئية وإقليمية ، وأن تشغلنا القضايا الداخلية والخاصة وذلك حتى تقطع الصلة بين الجزء والكل ، بينما نجد أن الاستعمار والتغريب إنما يخططان من خلال خارطة واسعة يوجها فيها الضربات إلى نقطة في أقصى المشرق ثم إلى نقطة في أقصى الجنوب ثم إلى نقطة في أقصى الغرب ، مبادعاً بين ضرباته حتى لا يلتفت أحد إلى الأطراف طرفاً بعد طرف ، ولذلك فإن علينا أن ندرس (كل عناصر الفكر الإسلامي) من خلال نظرة كافية عامة :

أولاً : لأن النظرة الجزئية من شأنها أن تحول دون الوصول إلى الغاية المرتجاه ، وهي في نفس الوقت تتحقق المهدف الذي رسمه النفوذ الأجنبي والتغريب ، ومن خلال إحدى كبرى تحديات العصر (فلسطين) فإنهلا يمكن دراستها منفصلة عن أبعاد أخرى متعددة ، وهي أبعاد تاريخية وجغرافية ، وتذهب إلى تاريخ أوروبا وتاريخ اليهود وتاريخ الدولة العثمانية ، وتصل إلى الحروب الصليبية وحروب نابليون والثورة الفرنسية ، وأبعاد فكرية وثقافية وعقائدية تصل إلى « إبراهيم » أبو الأنبياء وإلى بابل وإلى مكة وإلى مصر ٠٠٠ الخ ٠

هذا بالنسبة لقضية واحدة هي قضية فلسطين فما بالك بعشرات القضايا التي يفجّرها الصراع وتقجرها المواجهة بين عالم الإسلام والغرب ، منذ بدأت أولى علاقات اللقاء ، ومنذ جاء الإسلام إلى اليوم ، وهي مواجهة لم تتوقف ولم تهدأ منذ أحسن العرب بظهور الإسلام ، وأخذ منذ ذلك اليوم يحاول قمعه داخل الجزيرة العربية، ويحول بينه وبين الانطلاق لتبلیغ رسالة الحق ، ولتحرير البشرية من عبودية الإنسان ومن الوثنية والجور ، منذ ذلك اليوم وإلى عصور قادمة ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها فإن هذه المواجهة لن تتوقف ولن تنتهي ، وسيظل المسلمون – أصحاب هذه المنطقة الخطيرة من العالم ، وذلك الموقف الدقيق الحاسم – في موقف المرابطة الدائمة والمواجهة القائمة التي لا تنتهي (ذلك لأنهم في رباط إلى يوم القيمة) وكل سياسة ترسم على غير هذا الفهم فإنها سوف تجد من نصيتها الفشل والانهيار ، وكل نظرة توجه إلى قضية من قضايا التحديات المثارة الآن في عالم الإسلام مع الغرب لا بد أن تدرس في إطار هذه النظرة الكاملة التي تجمع كل الأطراف وتستقطب كل الأبعاد .

ولعل أقوى ما يؤكّد هذا الفهم : هو الوجهة الواضحة لكل القوى الطامعة ، والغامرة ، سواء كانت الاستعمار أم الصهيونية أم الماركسية أم الإلحاد أم الوثنية ، فإنها جميعها – على اختلاف مشاربها ومطامعها – تتجمّع حول هدف واحد هو الإدالله من (عالم الإسلام) بالإدالله من (الإسلام) نفسه ، ذلك «الخطر» الذي لم تتوقف في الحشد له والتخطيط لمواجهته وتنفيذ المؤامرات لضربه ، ومع ذلك فإنه مازال قائما كالطود ومازال يكسب كل يوم أرضًا جديدة ، ومازال يستبدل أجنحة الضعف بأجنحة القوة ، فكلها تهدم له ركن ، تجدد ركن ، وكذلك كان شأنه بيان تاريخه كله ، يواجه الأزمات والأحداث ثم يخرج منها مصهوراً لاما كالذهب ،

مجدداً نفسه بالاستمداد من منابعه، مندفعاً إلى آفاق جديدة
لتنستضيء به .

ومن هنا فإن علينا اليوم حين نواجه واقعنا أن نبدأ من الخطوة الأولى ، عندما تجمعت القوى لتحول بين الإسلام وبين الخروج من الجزيرة العربية وتأمرت قوى الروم مع كل خصوم الإسلام للقضاء على هذه القوة الجديدة ، إزاء هذا تجمع الغرب في محاولات متعددة من خلال الدولة البيزنطية التي لم تثبت أن واجهت هزيمة ساحقة في معركة (ملاذكرد) التي كانت إعلاناً ومقدمة للحروب الصليبية التي استمرت في الشرق قرنين من الزمان وانتهت با لهزيمة الساحقة ، بالرغم من امتلاكها أجزاء هامة من الساحل الشامي ، وسيطرتها على بيت المقدس فترة من الزمان ، وبالرغم من تآمرها بالاتفاق مع قوات التتار لضرب الإسلام بعد حصاره وقطبيقه .

ثم جاءت الجولة الإسلامية التركية التي حققت السيطرة على القسطنطينية والتي زحفت إلى قلب أوروبا فسيطرت على البلقان ووصلت إلى أسوار فيينا ، وأقامت هناك ثلاثة قرون أو تزيد ، في هذا الوقت كانت حركة الإداللة من الوجود الإسلامي في الأندلس تصل إلى غايتها ، وتدفع هذه القوى الأسبانية والبرتغالية في حركة التفاف حول عالم الإسلام لحاصرته وتطويقه ، كمقدمة للاستعمار الغربي الذي سيطر على مقدرات المسلمين منذ القرن الشامن عشر (أندونيسيا والفيليبين والهند) ، ثم السيطرة على العالم العربي خلال القرن التاسع عشر حتى تم له ذلك في نهاية الحرب العالمية الأولى حيث سقطت الدولة العثمانية وتمزقت البلاد العربية بين الاستعماريين : الفرنسي والإنجليزي وأسلمت فلسطين لقمة سائعة للصهيونية العالمية .

ومنذ ذلك اليوم والمسلمون يعيشون معركة المواجهة الخطيرة

التي تتشكل وتتحول بين استعمار واحتلال ، إلى سيطرة اقتصادية وغزو ثقافي ، إلى صراع بين فرنسا وإنجلترا ثم إلى صراع بين الغرب والشيوعية ، ثم صراع بين قوى الاستعمار والصهيونية والماركسية ، سياسياً وفكرياً واجتماعياً .

ولكن القوة المؤمنة استطاعت أن تنتصر كل مؤامرات القضاء عليها ، وتدافعت لتعلن كلمة الله إلى العالمين في مواجهة امبراطورية الغرب كما فعلت من قبل في مواجهة امبراطوريتي الفرس والروم .

أخطر مؤامرة تعرض لها الإسلام في العصر الحديث

تمزيق الوحدة الإسلامية الجامعة

إن أخطر الآثار التي ترتبت على مخططات الاستشراق طريقة إلى التغريب هي تمزيق وحدة الأمة الإسلامية إلى إقليميات وقوميات، وغرس إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي ، فقد كان العمل الأول والأكبر الذي قامت به هذه القوى هو وضع مخططات ترمي إلى احتواء العالم الإسلامي كله والسيطرة عليه ، ومن ذلك دعوتهم إلى القومية وإلى الاشتراكية وإلى تسوية الوحدة الإسلامية الجامعة والتآمر على دولة الخلافة الإسلامية لتمزيق تلك الجبهة الموحدة وفرض نفوذهم الإقليمي على كل منطقة ومحاولة إقامة وجود وتاريخ وكيان خاص لكل منطقة مسند من تاريخ ما قبل الإسلام ، وبذلك أحياوا دعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان ، والأشورية والبابلية في العراق ، والبربرية في المغرب ، والزنجبية في إفريقيا ، بهدف تقطيع أو اصل العالم الإسلامي . وقد أكد أكثر من مستشرق بأن التركيز على القوميات هو من أكبر أهداف عملهم ، ومن ذلك اليوم تحدثت الدراسات عن الأدب المصري ، والسوري والعربي ، والحضارة العربية والحضارة الإسلامية والحضارة المصرية وعن الثقافة المصرية والثقافة السودانية ، وهكذا جرت المحاولة بفضل الأدب والثقافة والفكر – في هذا العصر الحديث – عن منطلق الفكر الإسلامي في تاريخه وقيمه ، وفصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي بينما هو (وحدة) من وحداته لا تتفك عنه ، وهذه مؤامرة خطيرة يجب الوقوف في وجهها .

وجاءت القضایا السياسية لتدرس في كل قطر على حدة ،

وت تكون لها وجهة نظر مختلفة ، وتمزقت جبهة الأمة الإسلامية في إقليميات وقوميات كان من شأنها سقوط الوحدة الإسلامية الجامعة إلى حين ، وتبنيت الدعوات المرتبطة بالعرق والسم و العنصرية ، وظهرت الدراسات تتحدث عن النحو العربي والبلاغة العربية في كل قطر على حدة ، بينما هي مما لا يمكن فصله أو تجزئته ، وتتفاوض المسلمين الشخصية الواحدة فقال عنها هؤلاء : إنه تونسي وقال الآخرون بل جزائري ، وقال آخرون إنه ولد في جنوب ليبيا (وكذلك قطر على حدة ، بينما هي مما لا يمكن فصله أو تجزئته ، وتتفاوض فارسي) ، ونسواحقيقة أساسية هي أن العقل الإسلامي وحده هو الذي كون هذه الشخصيات ، وكون آثارها ، وأن اللغة العربية والقرآن والسنة هي مصادر هذه الأفعال حيث لم يكن يعرف المسلمون في عصورهم المزدهرة مثل هذا الخلاف بين العربي والفارسي والتركي وهو مما رماهم به عدوهم ، بل كان المسلمون وحدة واحدة لا يملكون جواز سفر إلا من لا إله إلا الله ، وقد قال « ابن بطوطة » أربعين قطرادون أن يوشه أحد منذ خرج من الأندلس حتى بلغ جاوة .

تلك هي مؤامرة الاستشراق الكبرى التي هدمت وحدة المسلمين وفتحت الطريق أمام غزو قومية أخرى خارجية على وجودهم ، ومزقت العالم الإسلامي كلها إلى قوميات وأسقطت الخلافة الإسلامية ومكنت للإقليمية التي ما تزال تصر على انفصالتها ، وكانت الأطروحة الكبرى ، هي الماركسية منأ خطر ما حال دون وحدة المسلمين وأسلمتهم إلى ولايات مختلفة بين القوى الغربية والشرقية .

هذه هي العبرة

إن المقارنة بين اليقظة الإسلامية ونهضة اليابان هي قياس مع الفارق البعيد والعميق ، وعندما يقال إن النسيج الاجتماعي الياباني استجاب للمتغيرات دون أن يفقد تماسته لا يكون هذا القول ممثلا للواقع ، فإن أهم شيء هو :

هل واجهت اليابان تلك الحرب الفكرية الواسعة الضخمة التي قام بها الغرب إزاء المسلمين والعرب لانتقاد ذاتيتهم وتدمير وجودهم والتشكيك في نظامهم الإسلامي وهدم قيمهم وتعويق نهضتهم بشتى السبل ، وبث المذاهب والأيديولوجيات الهدامة بينهم لحرمانهم من تحقيق امتلاك الإدارة الحقيقية ؟

إن اليابان لم تواجه من ذلك شيئاً ، وما واجهت الغزوة التغريبية أمة ما على وجه الأرض بمثل الشراسة والعنف التي ووجهت به الأمة الإسلامية ، ذلك لأن الغرب لا يخاف اليابان ولا يخاف أي أمة من أي دين آخر ، وإنما يخاف الإسلام وأمته ، ويتوقع أن تكون نهضته وصوته عاملًا من عوامل تقلص نفوذ الغرب .

إن التغريب يهدف أن تزول ذاتية الأمة الإسلامية وهي في طريقها إلى التحديد ، ولكن الأمة الإسلامية ستقاوم في سبيل حماية ذاتيتها ولن تقبل من الغرب سوى العلوم التجريبية ولن تقبل التبعية والانصهار في بونتها الحضارة الغربية التي تتجه إلى الانهيار . إن امتلاك الإدارة الذاتية لا تحول دون تحقيق العصرية والتقدّم ، وكذلك فعلت اليابان ، وهذه هي العبرة التي تأخذها من الأحداث ، فقد حافظت على قرائتها الوثنى وقبلت من الحضارة ما دفعها إلى

الأمام دون أن تفقد ذاتيتها فهل يمكن لمن يملك أعظم المناهج وأكرم القيم أن يتنازل عنها في سبيل قبول عرض من الدنيا !!

ومعنى هذا أن المسلمين قادرون على أن يقيموا نهضة عصرية كبرى من خلال منهجهم الإسلامي ، وأن المنهج الديني لا يعوق النهضة . وإذا كانت البيان وهي تملأ منهجا وثنيا قد استطاعت مع المحافظة عليه أن تقييم هذه النهضة فكيف بمن يملك منهجا ربانيا أصيلا ، قام على حماية العلم والتقدم وحقق تجربة ألف عام كاملة فملا الدنيا بنوره وأضوائه !!

هذه هي العبرة .

عودة إلى طريق القرآن

هناك محاولة جديدة لتربيف تاريخ اليقظة الإسلامية ، يحمل
لواهاً عدداً من الكارهين للصحوة الإسلامية العاملين على ترسيفها ،
تلك هي الدعوى التي تقول : إن جيل الرواد (« لطفي السيد »
و « طه حسين » و « محمود عزمي » و (على عبد الرزاق)
و (حسين فوزي) و (زكي نجيب محمود) و (لويس عوض)
كانوا على الطريق الذي رسم « جمال الدين » و « محمد عبده » ،
 وأن اليقظة الإسلامية هي التي انحرفت عن هذا الطريق وأن هؤلاء
الرواد هم دعاة التتوير الإسلامي ، في هذه اليقظة وتلك دعوى باطلة
لا يقبلها عقل .

فإن كلمة التتوير نفسها كلمة يهودية ، فالتوير في الغرب هو
عصر الإلحاد والإعداد لحصار المجتمع المسيحي وتغليب نفوذ اليهود
عليه وصراع القوميات مع الكنيسة ، فإذا كانوا هم دعاة التتوير
بهذا المعنى في الفكر الإسلامي فذلكرأيهم فيهم ، أما نحن فلا نؤمن
بكلمة التتوير ، ولا يعتبر جيل الرواد هذا هو الحلقة الثانية لليقظة
الإسلامية التي بدأها أساساً « محمد بن عبد الوهاب » و « السنوسى »
(والمهدى) (وجمال الدين) (ومحمد عبده) ، وهذه اليقظة امتدت
في الدعاة السلفيين الذين انتشروا في الهند (أحمد بن نعمان) وفي
العراق (رشيد رضا) ثم حركة الدعوة الإسلامية التي قادها حسن
البنا) أما أولئك العلمانيون فقد خلطوا الأوراق وجاؤوا طريق
(جمال الدين) و (محمد عبده) ، وهل يعقل أن يكون (لطفي السيد)
بدعوته إلى محاربة اللغة العربية والجامعة الإسلامية وتعليم العامية
تابعها (لجمال الدين) ؟ وهل يمكن أن يتصور أن الدعاة إلى التشكيك

في أن الشعر الجاهلي هو مصدر من مصادر التفسير القرآني — كما فعل طه حسين — أو أن الإسلام شريعة ودولة — كما حاول على عبد الرزاق — هل يمكن أن يكون هناك أي صلة بين هؤلاء وبين الطريق الذي رسم (محمد بن عبد الوهاب) وسار فيه (جمال الدين) (ومحمد عبده)؟

لا ريب أن الخط الذي كانت تسير فيه النهضة التي بدأها الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) (بدعوة التوحيد) ووسع نطاقها (جمال الدين ومحمد عبده والألوسي والجزائري) والتي امتدت إلى المغرب حين أنشأت الحركة السلفية المغربية ، هذه النهضة جاء (طه حسين) وجماعة التغريب القادمين من المعاهد الأجنبية للادعاء بأنهم أتباعها ليحولوا تيارها نحو العثمانية ، على النحو الذي قام به الذين أنكروا العجازات وحاولوا قبول القوانين الغربية بدعوى أنها لا تختلف — كثيرا — عن الفقه الإسلامي . هذا التحول الخطير الذي قام به « سعد زغلول » في تفريح الحركة الوطنية من انتسابها الإسلامي « ولطفى السيد » بقبول الليبرالية بدليلاً للمنهج الإسلامي وما نتج عن حجب الشريعة وقبول منهج الغرب في التعليم والتربية والسياسة والاقتصاد .

كل ذلك كان انحرافاً بحركة الإصلاح عن طريقها الحقيقي حتى جاء دعاة اليقظة الإسلامية فأعادوها إلى مفهوم القرآن الأصيل .

تميز الإسلام عن المذاهب والعقائد

إن الإسلام جاء حدا فاصلاً بين عصره وما قبله من عصور ، لقد عرف هذا الحد الفاصل باسم (الانقطاع الحضاري) لقد كانت الأديان كلها قبل الإسلام تمهدًا للإسلام الذي يمثل (عصر رشد الإنسانية) إن من ينظر في دقة وعمق إلى هذه المفاصل التي يقيمهما الإسلام في تعاليمه ، وبالنسبة لأهله وبين التقاليد والقيم والعادات التي كان يعيشها الناس من قبله تكشف له فيوضوح أن عصرًا جديدا قد بدأ بظهور الإسلام وأنه تغلغل إلى أبعد مدى في كل دقائق أمور الحياة والأخلاق والمعاملات .

ولكن قوى التغريب تحاول أن تصور الإسلام على أنه دين من الأديان ، دون أن تكشف عن مجموعة الحقائق التي عرفت من الإضافات والتغيرات التي تأثرت بها بعض الأديان ومن هنا تجري محاولة الدعوة إلى تطوير الدين ، وهي دعوة قامت في الغرب حين عجزت العقائد عن الاستجابة للتغيرات الحية فاخضعوها للتطوير ، ولكن هذه الدعوة باطلة حين يراد تطبيقها على الإسلام وعلى الشريعة الإسلامية أو على اللغة العربية التي حملت أمانة النص القرآني المنزل .

إن عملية خلط الأوراق التي يحاول البعض أن يقوم بها باطلة وزائفه وسيرفضها الإسلام تماما ، تلك الدعاوى عن وحدة الأديان ، أو عن تماثل الإسلام مع الديمقراطية أو الاشتراكية كل هذا زيف خادع فain الإسلام : شريعة الله الربانية الخالدة بالمقارنة إلى الأيديولوجيات البشرية التي تصدع عن وأصابها الاضطراب وغلبتها متغيرات الزمن فاحتاجت إلى الحذف والإضافة ؟ كذلك فإن هذه

المحاولات التي يقوم بها من يلبسون ثوب الإسلام ويدعون الغيرة عليه ويحاولون تبرير الواقع وقبول الرخص ، ليرضى عنهم أصحاب المصالح والخبراء الأجانب الذين يخونون العداوة والبغضاء ، ويطالبون بالتنازلات وراء التنازلات وهم يعملون أنهم بذلك سيصلون إلى هدم تلك الحواجز الأساسية والقيم الرئيسية التي تفصل الإسلام عن سائر الأديان ، حتى لا يظل قائماً كالمذارة السامقة في وجه المذاهب والأيديولوجيات ، هذه المصالحة المداعة ، تحت أسماء كثيرة ، وهذه المحاولات للتواصل والالتقاء بين الشاطئين ، بدعوى أن الخلافات بين الإسلام والفكر العربي يسيرة ، أو في مجال الحوار بين الإسلام والأديان وهم يعلمون جيداً أن المتابع مختلفاً اختلافاً عميقاً ، صحيح أن دين الله واحد في أساسه ، وأن الفكر الإنساني قائم على أساس رسالة الأنبياء ، ولكن يجب أن يكون معلوماً أن هناك تغيرات كثيرة حدثت ، ومعالم كثيرة قد تغيرت ، وأن تتبع الأديان لتصل إلى الرسالة الخاتمة قد انقطع ، وقامت بدلاً منه دعاوى أقرب إلى القبلية ، ونشأت عقائد جديدة منها التعدد ، والخطيئة ، والخلاص ، واحتلط مفهوم الألوهية بالبشرية والنبوة ، وقامت على ذلك فلسفات وقضايا ومذاهب وأيديولوجيات تفصل بين الروح والمادة ، وتحرك المجتمعات من الرهبانية إلى ما يسمى ثورة الجنس ، مروراً بالإلحاد والإباحة ومذاهب العرى والوجودية والهيبية ومذاهب (فرويد وسارتر وديوي ودوركايم وماركس وميكافيلي) كل هذا مر به الفكر الغربي المسيحي الأصيل في جولة ضخمة خلال ثلاثة قرون فترك آثاره البعيدة على السياسة والمجتمع والاقتصاد وال التربية .

فكيف يمكن أن يقال اليوم إن ما بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي يسير ، وأن المسلمين يستطيعون أن يحتفظوا بتراثهم ، ويأخذوا الفكر الغربي الحديث ، الذي يختلف مع ناحية التوحيد

والأخلاق والشوري والعدل الاجتماعي والإخاء الإنساني ؟ ويختلف مع مفهوم مهمة الإنسان في الأرض والمسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي والبعث والحساب والجزاء الأخرى ، ويختلف مع مفهومهم للحضارة والعلم وتوزيع الثروة وبناء المجتمعات .

إن الاختلاف اليوم بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي بعنصره الثلاث : الليبرالي والماركسي والصهيوني ، هو خلاف عميق بالغ العمق ، وهو أكثر سعة وأشد عمقاً من الخلاف الذي قام بين الفكر الإسلامي والفكر اليوناني والفارسی والهندي في العصر الأول . ذلك أن ذلك الفكر كان فكراً ميّتاً لا تقوم عليه حضارة ، ولكن الفكر العربي اليوم قائم من وراء حضارته المسيطرة فعلاً على العالم الإسلامي ، والتي فرضت عليه نفوذاً كبيراً في مجال التعليم والثقافة والصحافة بحيث حضرت في دائرة فكرها المغرب ، إلا قليلاً ، كما فرضت نفوذها على ما يترجم وما يكتب .

إن الدعوة إلى الانفتاح على الغرب في مجال الفكر يجب أن تكون مشروطة بحاجة الأمة الإسلامية وبما يصلح لها – وبحريتها الكاملة – في قبول ما يتفق مع جوهر فكرها ، وأن يصبح ما تقبله هنا مادة خاماً من حقها أن تشكلها كما تريد لا أن تغير ذاتية المسلمين وتحرف بوجودهم الأصيل .

إننا في حاجة إلى العلوم التجريبية وحدها من الغرب ، ولسنا في حاجة إلى أسلوب العيش أو الأدب أو المفاهيم الاجتماعية الغربية فإن ذلك كله يختلف مع جوهر مفهومنا الاجتماعي والأخلاقي ، وإننا في حاجة إلى الوسائل والأدوات ، ولسنا في حاجة إلى المناهج ، ولن يستطيع أحد أن يفرض علينا أسلوب العيش الغربي أو倫 الأخلاقيات الغربية ، فما من أمة اقتبست من الحضارة القائمة في عصرها قبلت التبعية أو الانصهار في بوتقة الأمم . إن دعوانا الأولى والكبرى اليوم هي الخروج من التبعية .

نقول للداعية إلى الله

نريد إسلامنا صافيا خالصا مجردا من تفسيرات الاعتزال
أو دعوات المتكلمين أو تعقيدات الفلسفه أو تأويلاً للباطنية .

نريد أن يدخل الإسلام في مرحلته الأصيلة المستمدة من المفهوم
القرآنى ومن التوحيد الحالى .

ذلك أن هذه المحاولات التي تتحدث عن العقلانية أو عن التأويل
أو عن التصوف الفلسفى كلها دعوات تحاول أن تخرج بالإسلام
عن يسره وبساطته وسماحته وفطرته التي تقبلها كل العقول وترضى
الوجدانات والقلوب وتلتقي عليها مختلف الطبقات في فهم متكامل
جامع للإسلام الذي يربط بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ،
ولاريب أن محاولة إحياء الاعتزال والتصوف الفلسفى والتأويل
والمنطق والشك الفلسفى كلها محاولات ترمى إلى تعقيد الإسلام
وإخراجه من يسره وسماحته .

ومن هنا فأعتقد أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى العمل في الحقول
الآتية :

أولاً : الكشف عن حقائق الإسلام التي حاولت الدعوات الهدامة
وسسمون الاستشراق إخفاءها عن العيون ، من خلال أساليب لها
طابع علمي براق ماكر ، والعمل على تثبيت مفهوم
الإسلام الجامع في النفوس المسلمة بعد أن جرفته الدراسات البشرية
والاستشرافية التي سيطرت على مناهج التعليم والثقافة والتربية
والدينية .

ثانياً : عرض الفكر الوارد على قاعدة الإسلام السياسية :

الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع

وكذلك عرض التراث الإسلامي الذي تشكلت جوانب كثيرة منه في ظل ترجمة الفلسفة اليونانية وبتأثيرها . فلا تقبل إلا ما يطابق مفهوم الإسلام القائم على التوحيد الخالص .

ثالثا : مراجعة الفكر العالمي والإنساني والوافد على ضوء الإسلام والتحفظ في قبول المترجمات من الآداب الغربية ما لم تكن واضحة الوجهة مسدة ، بعرض صحيح لظروفها وأوضاعها ووجهة كتابها .

رابعا : إثارة الإيمان العميق بالفكرة الإسلامية القرآنية وأثرها في الحضارة الإنسانية ، والدور العميق والخطير الذي قدمه الإسلام في مجال العطاء العلمي والمعرفي حيث قدم الإسلام : المنهج العلمي التجربى ومنهج المعرفة ذى الجناحين ، كما قدم للبشرية قانون الوجود (نواميس الكون) وقانون الحضارات والأمم الذى يسمى ستن الله في الأمم والحياة .

خامسا : الكشف عن ذخائر التاريخ الإسلامي والبطولات وتحليل سيرة الرسول - ﷺ - التي هي نبراس الأسوة الحسنة والقدوة لل المسلمين في مختلف تخصصاتهم ، الكاشفة عن البطولة الإسلامية في مجال العلم والتجارة والغرب والسلم والحكم .

تكامل الإسلام

أولا : ليس علينا أن نأخذ مفاهيم الغرب لنطبقها على القيم التي نؤمن بها ، ولكن علينا أن ندرس مفاهيم الغرب دراسة مقارنة لنعرف متى الالتقاء ومدى الاختلاف بين مفاهيمها وصولا إلى الأصلية والتتماساً للمفهوم المتكامل الجامع ، ومع مواجهة الانشطارية الغربية .

وأن نكتشف عن وجهة نظر الإسلام في كل القضايا التي تدرس في مفاهيمنا وجامعتنا مقطوعة الصلة بأصولها التي نشأت منها وبأصالته نظرتنا إليها .

ثانياً : إن أي مذهب أو نظرية مستحدثة يجب أن تعرض على أصول فكرنا الإسلامي ، ذلك أن فكرنا متجدد بطبيعته قابل لاستيعاب التغيرات ، ولكنه قائم على أساس ثابت وله جذور وضوابط « يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالبية وانتهال المبطلين وتأويل الجاهلين » كما يقول نبينا - ﷺ - .

ولذلك فإن علينا أن نكتشف دائماً عن الفوارق الدقيقة من مفاهيم الفكر الإسلامي والفكر الغربي في مختلف المجالات ، إن مفتاح الفارق العميق يتمثل في أمور : التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب والبعث والجزاء التي يقوم عليها البناء الفكري الإسلامي .

ثالثاً : في الوقت الذي تعجز فيه الحضارة الغربية عن فهم مصدر الخطر وتقف في صلف لا ت يريد أن تصحّح موقفها ، تقف الحضارة الإسلامية موقف الفهم الصحيح ، والاتجاه السليم نحو تصحيح موقفها وتحرير نفسها ، ذلك باتجاهها إلى التبع الأصيل (القرآن الكريم) مؤمنة بأنه هو المصدر الأول الذي يمدّها بطرق النجاة كمحاولة جديدة للنماء والتجدد .

رابعاً : لا ريب أن الانفتاح على الفكر العالمي له محاذير وأخطاء ومن أجل هذا لابد أن توضع له قواعد وضوابط بما يحفظ للشخصية الإسلامية أصالتها واستقلالها ودورها الحضاري البناء .

خامساً : إن تكامل الإسلام في مجال البحث العلمي يعني أن البحث لا تتقطع عن سياقها التاريخي ولا عن أهدافها ولا عن

ارتباطها بنقطة البدء الأولى في الإسلام وهي تكامل النظرة : نفس وعقل ، تربية العقل لتحريره من الضلال وتربية النفس لتحريرها من الأهواء .

سادساً : إن الأخذ من الغير مقيد بشرط أساسى هو المحافظة على أصلتنا ، لقد قدم الإسلام لنا النظرة المتكاملة الجامعة ، ثقافة وحضارة ، عقل ووجدان ، جماع نظرة الفقهاء إلى التشريع والمتصوفة إلى الوجودان ، وعلماء الكلام إلى العقائد ، والأخلاقيين إلى العلم ، والمؤرخين إلى السير ، والبلغيين إلى اللغة والأسلوب ، والفلسفه إلى ما وراء الطبيعة ، لا تستطيع نظرة من هؤلاء أن تتفرد بأنها نظرة الإسلام .

لنعرف مصادر الخطر ونتحااماها

يجب أن تكون للأمة الإسلامية المؤمنة بربها ذاتيتها الخاصة وتكوينها الخالص ، المستمد من ثقافتها الإسلامية الأصيلة المستقلة بأصولها ومفاهيمها عن زيف ما تذيعه صحف التغريب وكتبه ونشراته ، وأن يكون للمسلمين تكوينهم الخاص وتربيتهم الإسلامية لأبنائهم وأسرهم ، دون أن يطغى عليهم المجتمع العام ويفسر عليهم طرائقهم ومعاملاتهم ، وليدخلوا هذا المجتمع الصالب في حذر شديد مراقبين الله تبارك وتعالى في معاملاتهم ، يحلون الحلال ويحرمون الحرام ، دون أن يصهرهم هذا المجتمع ولا يحتوينهم ، وأن يعرفوا مدى الأخطار التي يوجدها التلفزيون والمسرح والأغاني والمسلسلات على إيمانهم وحياتهم ، وعليهم أن يوجهوا أبناءهم في حسم إلى التفرقة بين المجتمع الإسلامي وبين هذا الموقف الملاطئ المضطرب الذي يختلط فيه الخير والشر والحسن والقبح ، وأن تكون الأسرة المسلمة قادرة على التحرر من قيود التبعية ومرتفعة فوق الاحتواء ، تنظر إلى تلك النشتات والسموم في حذر شديد ، وهي تعرف أخطارها فتتجنبها راضية بحياة بعيدة عن البريق ، هذا المجتمع يتشكل على أساس الإيمان بالله والفهم العميق للأمانة العقدية ومسئوليتها في إقامة المجتمع الإسلامي الملائم داخل المجتمع الإسلامي الكبير ، مستكملا نقص التعليم في البيت ومقاييس مفهوم التربية الإسلامية في داخل الأسرة ومطبقا لمفهوم المعاملات الإسلامية على نفسه وأسرته والله ، أما الذين يرون أن الأمة الإسلامية لا تستطيع أن تشق هذا الطريق ، وأنهم أعجز عن الاستقلال بمفاهيم الإسلام فهم أصحاب مفاهيم التعطيل والتأويل والأخذ بالرفض ذلك أن الأمة الإسلامية حين تعرف مصدر الخطر والتآمر الوارد إليها عن طريق وكالات الأنباء

والمسرح والقصة ، وعن طريق الأيديولوجيات والمذاهب الوافدة في الثقافة والفكر والصحافة ، فإنها تستطيع أن تتحامماها مادامت قد عرفت مصادرها اليهودية التلمودية ، وغایيات أهلها من استعماريين وماركسيين ، ورأسماليين ، يطمعون في السيطرة على مقدرات هذه الأمة وعلى احتواء أهلها بإدخالهم في بوتقة الفكر الأممى ، إن الذين يثبطون عزيمة الأمة عن المقاومة هم أكبر الأعداء لهذه الأمة وهم أشد عليها خطاً من التغربين أنفسهم .

ضوء الفجر

إن محاولة تأصيل واسعة تطرح نفسها بقوة في أفق الفكر الإسلامي ، وهي تصلاليوم إلى أبعاد مختلفة ويجب أن لا تقف عند مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، بل تتعدى ذلك إلى مجال العلوم والفنون وإلى مجال الحضارة والمعمار في سبيل إحياء أسلوب العمارة الإسلامية بعد أن طفت ظاهرة العمارة الغربية كجزء من خطة التغريب التي تهدف إلى تقبل أنواع الفنون المعمارية الأجنبية دون تقدير لوجوه الحاجة والمنفعة والمظهر الأصيل .

إننا مطالبون بثلاث أمور (أولاً) : بإعادة النظر - في ضوء الإسلام - إلى كل ما يقدم لنا من نظريات .

(ثانياً) : إعادة تقييم المرحلة السابقة من تاريخنا المعاصر (فكراً وأدباً وثقافة) تلك التي أطلق عليها جيل العملاقة والقمم الشوامخ .

(ثالثاً) : التخفف من المصطلحات الأجنبية المعبرة عن تصورات ومصالح أجنبية ، غربية عن كيان الأمة الإسلامية ومصالحها مع تأكيد الالتزام بمصطلحات نابعة عن عقيدة الأمة وتاريخها وتراثها وجواهر فكرها وشخصيتها الإسلامية .

إننا مطالبون بالمحافظة على التميز الذاتي لشخصيتنا الإسلامية والانطلاق على نحو تجدد به نفسها دون أن تقع في مأزق الجمهور أو الانصهار إن نقطة الانطلاق هي أن يعترف المجتمع بائتمائه إلى الإسلامية وما يتبع هذا الانتماء من التزام وسلوك .

إن هناك هدفاً وراء مؤامرة الاحتواء والحصار التي تقوم بها

قوى التغريب والغزو الثقافي هي : إخراج المسلمين من منهج حياتهم الأصيل الذي رسمه لهم القرآن الكريم ، وإزالة التمييز الخاص للذاتية الإسلامية .

إن للإسلام مقاييسه الواضحة في النظر إلى أمور الثقافة والبحث العلمي والتاريخ ، تختلف اختلافاً واضحاً عن تلك المفاهيم الوافدة ، فهى مستقاة من الفطرة الأصلية ومن القيم الأساسية ، التي علماها الإسلام لأمتنا منذ أربعة عشر قرناً ، بينما لم تعيش المفاهيم الوافدة أكثر من مائة عام .

إن التغريب هو الاحتواء والانصهار في بوتقة الأممية إن الحفاظ على الكيان (العقيدة واللغة والتاريخ) يتطلب بقاء واستمرار عامل القدرة على المقاومة والمرابطة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستعداد لمواجهة كل عدوان . ماذا نأخذ وماذا نعطي في صلاتنا الفكرية والأدبية والفنية بالعالم أجمع ؟ إن المسألة ليست مجرد أخذ وعطاء ولكن يجب أن نحدد ماذا نأخذ ، وماذا نعطي ، وما هو المعيار الذي نأخذ به ونعطي ، وما هو الطابع المميز لشخصيتنا الفكرية بين الأخذ والعطاء . لكلا التقىارين الوافدين (الغربي والماركسي) أتباع وحواريون وكهان وما استطاع فكرنا أن يهضم ما قدموه أو يحوله إلى عناصر في شخصيتنا لأنه يختلف معها في الجذور .

بين الوحدة البشرية والتمايز الثقافي

إن أخطر ما يواجه المسلمين اليوم أن يجدوا بين أيديهم دراسات ومؤلفات تقدم لهم الفكر الإسلامي من وجهة نظر غربية مسيحية أو ماركسية اشتراكية ، وكلتاها تختلف اختلافاً أساسياً عن مفهوم الإسلام الأصيل الذي هو (أيديولوجية كاملة) ومنهج حياة ونظام مجتمع .

هذه الدراسات يجب النظر إليها بحذر شديد وشغف من الشك في هدفها ، ذلك أنها لم يقصد بها تقديم الفكر الإسلامي تقديماً صحيحاً ، أو وضعه في ميزان الإنفاق ، ولكن قصد بها إلى انتقاده والغض من شأنه بهدف واضح هو تغريبه وتزيف مفاهيمه وإثارة الشبهات حول حقائقه .

ويتمثل هذا العمل في عديد من دوائر المعارف التي نجدها بين أيدينا الآن في كل المكتبات العامة وفي الجامعات والمعاهد التي يتلقى فيها أبناؤنا العلم ، ونجد هذه الموسوعات ميسرة جداً للرجوع إليها في أي وقت ، ومن هنا يكون الخطير لأن هذه الموسوعات الميسرة (دائرة المعارف الإسلامية ، المنجد ، الموسوعة الميسرة) مسومة في كثير من موادها ، وإنها لا تقدم المفهوم الصحيح الذي يمثله الإسلام في جوهره الحقيقي ، لذلك فإن علينا أن نكون على حذر في مواجهة هذه الموسوعات .

إن هناك نظريتين تكشف النظرة الأولى لهما عن أنها متناقضتان ولكن بشيء من التأمل نجد أنهما متكاملتان : نظرية الوحدة البشرية ، ونظرية التمايز القومي الخاص ، ذلك أن هناك خصائص عامة توجد حيث وجد الإنسان ، فالإنسانية كلها تلتقي عليها ، وهناك خصائص ذاتية لكل أمة نتيجة دينها وعقيدتها ولغتها وثقافتها . فالعلوم

وال المعارف عامة ، والثقافات خاصة ويمكن لكل أمة أن تتتفق بالعلوم والمعارف العامة كما تشاء ولكنها يجب أن تكون حذرة في اقتباس الثقافات حتى لا تطغى أي ثقافة منها على معاالم ذاتيتها الخاصة فتذيبها في بوتقتها أو تحتويها ، وقد أعطى الإسلام للأمة الإسلامية تميزاً خاصاً وهوية واضحة ، المسلمين مطالبون بالمحافظة عليها وحمايتها والحيلولة دون انصهارها في الأمم الأخرى .

وقد تلاقى الأمم الغربية أو تختلف ، ولكنها في النهاية تدين بدين واحد يختلف عن دين الإسلام .

ويعطى التمايز الثقافي اختلافاً واضحاً في قضايا متعددة : منها قضية العلاقة بين الرجل والمرأة وبناء الأسرة ، ومنها قضية التعامل الاقتصادي ، ومنها قضية التعامل مع المجتمعات بالأمانية أو الغيرية ، ومنها النظرة العامة المادية في الغرب ، والجامعة بين الروح والمادة في الإسلام . وفي إطار الإسلام فإن الخلافات في الوطن والبيئة والعادات والتقاليد تكون يسيرة وقليلة بالنسبة لأوجه الالقاء المتعددة والواسعة والعميقة في مختلف الفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لأن عطاءنا الحقيقي لا يجعلنا في حاجة إلى اقتباس ، إن طابع الإسلام لا يقبل المشاركة أو الدخالة أو الاحتواء .

في الغرب يقولون إن نظريتهم هي مزاج بين الفلسفة اليونانية والقانون الروماني والدين المسيحي، وفي الشرق يقولون أن (الماركسية) مزيج من الفلسفة الألمانية والاقتصاد الإنجليزي والفكر السياسي الفرنسي ، أما نحن فإن الإسلام يجعل التوحيد أساساً لتقدير أي مفهوم في إطار الإسلام ، ومن قبل كان كذلك موقفه من فكر الوثنية الفارسية ، والمادية الإغريقية ، والكابالا الهندية ، وسيظل طابع الإسلام واضحاً مهما حاولوا ربطه بالديمقراطية أو القومية أو الاشتراكية ، فالإسلام لا يقر المزج والتركيب في الفكر البشري .

إن هذه الدعاوى لن تعيش إلا قليلاً : تلك التي تخلط بين الإسلام والماركسية .

إعادة صياغة المجتمع الإسلامي من جديد

إذا قلت إن مهمة الدعاء إلى الله في هذه المرحلة من تاريخنا في العقد الأول من القرن الخامس عشر هي إعادة صياغة المجتمع الإسلامي من جديد على طريق الله ما عدوك الأمل الذي يملأ الصدور والذي هو حجر الزاوية الحقيقي في أن المجتمع الإسلامي يجب أن يعود إلى منهج الله بعد أن جرفته الحضارة المادية المعاصرة ببريقها الخطاف وإغراءاتها ورياحها التي تحاول أن تخرج المسلم من الحدود والضوابط التي رسماها الإسلام .

إن الصحوة الإسلامية تعنى أول ما تعنى أن المسلم قد عرف مسؤوليته ، عرف حدود سعيه في الحياة ، هذا السعي الذي هو العمل الدائب المستمر من أجل العمران والرزق ، جرياً وراء الكسب الحلال وحده ، ثم هو لا يتوقف عن رعاية أبنائه وأهله لإقامة لهم على الحق ، مشكلاً بيته وأبنائه على الإيمان بأن الحلال وحده هو المطعم الوحيد الذي يقبله الله تبارك وتعالى ، مهما كان ضيقاً أو قليلاً ، صارفاً وجوهم عن البريق والترف الذي فيه طلاق الحرام . ويحرص على حماية أبنائه وأهله من انحرافات أدوات التقليدية والمسلسلات المنحرفة والقصص الهاابط ، وفساد بريق الصحف الصور العارية والأغاني الخليعة ، وليس ذلك سهلاً وميسراً في مجتمع يضطرب بألوان الفساد والانحراف ، ولكنه ممكן مع غرس الإيمان في القلوب ، وتعويضه هذا الزييف بثقافة إسلامية طيبة .

تلك هي رسالة الآباء والأمهات اللاتي يشكلن الأسرة الإسلامية الجديدة ، فليس يكفي أن يلتزم الشباب بالعبارات والثباتات بالحجاب ، وإنما لابد من بناء النفس في داخل هذا الكيان بإسلام الوجه لله ، وبيع الروح له ، وإقرانه الله تبارك وتعالى ، والانتقال

من الأنانية إلى الغيرية والإيمان بالمسؤولية الفردية مصاغة في قالب
الالتزام الأخلاقي .

فإذا مضت البراعم الجديدة على هذا النحو تكونت الأمة المؤمنة الأمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ، وتأسس رأي عام يحل الحلال في وكل أعماله ويحرم الحرام ، ولا يقبل الربا ، ويرفض الكسب الذي يأتي عن طريق الخداع أو الغش أو (التهليس) .

هذا هو المجتمع الجديد الذي نتطلع إلى أن ينشأ في محيطه الأجيال الجديدة المؤمنة بالله القادرة على بذل الجهد في حماية نفسها من أخطار الحضارة المدمرة وإسقاط مفهومها المضلل الذي يدفع الناس إلى الاستمتاع بالحياة قبل أن يتخطفها الموت ، وأن يكون المال وسيلة إلى الأسراف والإفساد في الأرض دون تقدير لأن المال امتحان للإنسان وأنه حساب ومسؤولية في الآخرة .

إن المجتمع الإسلامي يجب أن يتحرر من الانحرافات والأخطاء التي حولته عن وجهه الحقيقية ، وأهم ما في ذلك كله العلاقة بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأبناء ، فقد حرص النفوذ الغربي على إفساد هاتين العلاقتين وإثارة السموم حولهما بهدف تدمير البنية الأولى في المجتمع وتخريجها وهي الأسرة حرص على أن يدفع بالمرأة إلى خارج البيت بغير هدف محدد أو ضوابط حقيقة ، وليس في عمل المرأة ما يعبأ عليها إذا كانت في حاجة إليه ، أو كان من الأعمال المناسبة لها ، فإذا كانت هناك مفاضلة بين تربية الأبناء وبين العمل فإن تربية الأبناء : هي الرسالة الأولى والكبرى وهي مسؤولية المرأة أو وأخيرا . فلنحذر من حوار المسلسلات والمسرحيات ، فإنه يريد أن يدمر قيمنا ويصورنا في بوتقة الإباحية ويحطم قدرتنا على مقاومة الأخطار .

ولقد كان النفوذ الأجنبي والتغريب حريصا على هدم هذه

المهمة لإخراج أجيال تربت في أحضان الخادمات ففقدت الحنان
أساساً ثم لم توجه الوجمة الإسلامية الصحيحة منذ نعومة أظفارها .

ولقد كان علينا أن نكشف للمرأة المسلمة عن المؤامرة التي قادتها
إلى تدمير عرশها وتدمير الأجيال ، حتى جاءت المرأة الغربية نفسها
التي أخرجتها المؤامرة المسئونة لتعترف بالخطأ ، وجاء خبراء وعلماء
أمثال « الكسي كاريل » وغيره ليكشفوا للمرأة الغربية الحقيقة التي
قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا وهي أن للمرأة مهمة مختلفة عن
مهمة الرجل ، وأن جهازها البيولوجي والنفسي والجسماني مختلف
اختلافا عميقا عن جهاز الرجل لأن الله تبارك وتعالى خلقها له مهمة
مختلفة ، وقد أعطاها ، الله تبارك وتعالى قدرات خاصة بهذه المهمة
منها العاطفة والحنان والصبر على رعاية الأبناء .

ولقد استطاعت المرأة المسلمة في ظل الصحوة الإسلامية أن
تحسم موقفها وأن تدخل في أمر الله حين قبلت الحجاب والتزمت به
ولكنها في حاجة إلى أن تستكمل أمانتها بأن تخليص عن بعض المذاقns
كالروح وطول الأظافر والحزام الذي يصف الجسد ويحددنه ،
أو ضحكات الطريق والتثنى مما يفسد هيبة المرأة ولقد شاء الله تبارك
وتعالى أن يجعل هذا اللباس الإسلامي حامي لها من نظرات الفضوليين
ومعاينة العابثين ، فلتنهش في الطريق إلى غايتها حتى تكون رضاء
الله عنها شاملا .

إن عودة المرأة إلى الله هي حجر الزاوية في تصحيح طريق
المجتمع ، وهي العامل الأكبر في إعادة صياغة المجتمع الإسلامي من
جديد ، أما الشباب المسلم فمسئوليته كبيرة ، وأهم مسئoliاته هي
الثقافة والفهم والتعرف الصحيح على مصادر الخطر وعلى المهمة
الحقيقة للشباب المسلم في هذا العصر . لابد من معرفة مفهوم
الإسلام الحقيقي الذي يحمي هذا الوجود من الانصار أو الانهيار ،

إن أخطر المخاطر التي تواجه شبابنا هي الانصهار في بوتقة الحضارة المنهارة التي تهدف إلى القضاء على القيم والضوابط والحدود التي أقامها الدين الحق لحماية الإنسان من التدمير وحماية المجتمع من الانهيار .

إن قوى كبرى تود أن ينهار هذا الشباب تحت ضربات الفساد والإباحية والسموم والخمر وبنات الليل والحرام حتى تسقط هذه الأمة في براثن ومخططات بروتوكولات صهيون والماسونية .

إن هذه الأمة قد أقامها الله تبارك وتعالى في هذا المجتمع من كوكب الأرض لتكون حامية لقدساته ، مدافعة عن حماه فهى (أمة الرباط) إلى يوم القيمة ، وهى مطعم الغزاوة في كل عصر وجيل وهى التي وعدها رسول الله - عليه السلام - بالنصر والثبات (إذا لقيتم فئة فاثبتو) وقال إنهم في رباط إلى يوم القيمة ودعانا إلى أن نتخذ منها جنداً كثيفاً فهم خير أجناد الأرض إتنا أمة الجهاد في سبيل الله ، وأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن يريد أن يخرجنا من هذه الرسالة فإنه يفعل المستحيل ويجرى ضد التيار ، ويحاصر هذه الأمة في دائرة مظلمة وهى دائرة التغريب بعد أن عاشت أربعة عشر قرناً في دائرة الضوء والتماส المنابع والأصالة والرشد الفكري ، إن هذه الأمة لن تصلح إلا إذا عادت إلى قيمها وأصولها ، وإن هذه الأمة قد قيس الله لها أن تستعيد قدرتها من مصادرها الأساسية وليس من معين آخر ، إن أسلوب العيش الإسلامي هو منطلق النصر والتقدّم وامتلاك الإرادة والتمكّن في الأرض ، هذا المنطلق القائم على منهج الله ونظم المجتمع الذي قدمه القرآن الكريم لنا من خلال مفهوم المعرفة الجامع بين الروح والمادة والدنيا والآخرة والذي يمتلك اليوم الطاقة والثروة والتفوق البشري ، وإن كل معطيات العلم الحديث التي نلقمها من الغرب ستكون بمثابة (مادة خام)

تشكلها في دائرة مفهوم التوحيد الخالص ونصرتها في بوقتنا
ولا ننصر في بوقتنا أى حضارة أخرى .

إن مفهومنا الثقافي الجامع الذي يفهم خطه مؤامرات التغريب
والغزو الثقافي لحضارتنا واحتواها ويدفعها بقوة هو الذي يدعونا
إلى إعادة صياغة مجتمعنا الإسلامي من جديد على طريق الله ، وفي
ضوء القرآن .

مسئولييتنا إزاء الأجيال الجديدة

إن «أمانة القلم» التي وضعها الحق تبارك وتعالى في أعناق الكتاب تحتاج إلى إيمان راسخ بحق هذه الأمة في أن تسمع كلمة الصدق خالصة نقية بعيدة عن الإخفاء أو المبالغة أو التهويل ، فالرائد لا يكذب أهله ، وهي مسئولية أمم الأمة وأمام الله تبارك وتعالى ، وقد خاب من دسها ، وهذه أجيالنا الجديدة المؤمنة المتطلعة إلى أداء دورها في المجتمع ومعرفة مسئوليتها ودورها ، في حاجة إلى كلمة حق تضيء الطريق وتملاً تلك القلوب بالثقة والإيمان في هذه الرسالة التي وكل إلى الكاتبين تبليغها وأداؤها متجردين في سبيل ذلك من كل هوى وغرض ، ومن كل مطعم وجاء مادى ، وأشد الناس حسابا يوم القيمة أصحاب الأقلام الذين حجبوا عن أمتهم صدق الوجهة وطمعوا في مرضاة أصحاب السلطان ، فإذا طلب إلينا أن ندلّي بدلونا في هذا المعترك الفسيح فإننا يجب أن ثبت على الطريق الذي مضينا عليه منذ أول الشوط وهو أن نقول كلمة الحق وأن نضيء الطريق للفهم أمام الأجيال الجديدة .

ومن هنا فإننا لا بد أن نعرف بأن هناك مؤامرة خطيرة رسمت خطوطها منذ مائة عام ، وهي تمضي في مراحل وتحاول أن (تغرب

الإسلام) بأن تخرجه عن مفهومه الأصيل ، وقد اعترف بذلك (هاملتون جب) في كتابه (وجهمة الإسلام) ، وتأكد أن هذا مخطط وضع بعد هزيمة الغرب في الحملات الصليبية بهدف إحلال (حرب الكلمة) بدلاً من (حرب السيف) عن طريق (تزييف ، تحويل ، تطوير ، الكلمة) كل هذا له معنى واحد هو القضاء على الذاتية الإسلامية تحدث (٠٠) كل هذه الأفكار على مفهوم الإسلام الصحيح بوصفه (منهج حياة الأصيلة القائمة على مفهوم الإسلام الصحيح بوصفه ونظام مجتمع) وأن كل ما قامت به دوائر الاستشراق والبشير والتغريب والغزو الثقافي يهدف في النهاية إلى : وضع مخطط لإسلام يرضي عنه الغرب ، مفرغ من وجهته الربانية مقصوص الجناحين ، مجرد من ذاتيته الخاصة القائمة على أمرتين : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الجهاد فريضة الله الماضية إلى يوم القيمة والرابطة في الشعور ، يثبت ذلك ما نجده اليوم أمامنا من ظواهر : ادعاء النبوة واستشراء البهائية ووحدة الأديان والقاديانية وكتابات مسمومة ترمي إلى التشكيك في الوحي وتدعى إلى إعلاء العقل ، والتشكيك في السنة ومحاجمة صحابة رسول الله وتصويرهم بصورة السياسيين المحترفين على هذا النحو الذي تناولته أقلام لامعة وأفردت له صحف كبرى صفحات واسعة ثم حالت دون الرد عليه أو مناقشه ، كل هذا يوحى بأننا على طريق خطر : هو (إسلام مغرب) .

وإذا كانت الصحوة الإسلامية صادقة في وجهتها ، ثابتة في خطواتها نحو انتقال الأمة الإسلامية من مرحلة (تصحيح المفاهيم) إلى مرحلة (تغيير العقول والنفوس) فاننا نجد هناك مواجهة تؤكد انزعاج التغريب لسقوط خططه التي عمل على رسمها وجدل لها الأتباع سنوات ، وفي مقدمة ذلك الإعجاز العلمي والطبي في القرآن الذي أفرز من يقول (إن القرآن له حدوده في مجال العلم) مع أن القرآن هو الذي وضع قاعدة المنهج العلمي التجربى المعاصر بآياته (قل أنظروا) و (وقل هاتوا برهانكم) .

وتجري محاولة المgom على السنة والحديث النبوى وتشويه التاريخ الإسلامى للوصول إلى التشكيك فى صلاحية الشريعة الإسلامية ، وتواجه كتابات « بوکاى » و « جارودى » بامتعاض شديد فى محاولة لحجب قدرة الإسلام على اقتحام الوجдан الأوروبي . وما إحياء المذاهب الهدامة والفرق وإحياء دعوات جديدة ومتجدددة (كالبغوة والبهائية والقاديانية) إلا خطوات على طريق القضاء على (تميز الإسلام) بالذاتية الخاصة المترفة بالتوحيد والعدل والرحمة والإباء الإنسانى ورسالته إلى العالمين بعد إقامة مجتمعه الأصيل . ولا تخلو مهاجمة اللغة العربية الفصحى عن أن تكون جزءا من المخطط ، ذلك لأنّه اذا استغلت العامية تحول القرآن الكريم — وحاشا الله — إلى كتاب أثري يقرأ بقاموس كما تقرأ الكتب القديمة .

تلك هي صورة موجزة لمخطط المؤامرة التي تواجه أمتنا والتي نجد أنفسنا كأصحاب أقلام مسلمة مسئولين عنها أمام هذه الأمة وأمام التاريخ ، ومسئوليّة الله تبارك وتعالى أكبر ، فلنعرف مكاننا من المؤامرة ، ودورنا في مقاومتها ، نعم : هذه أمة شكلت على منهج الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ولا يمكن أن يتم إصلاح لها إلا من منطلق الإسلام ولا ينفعها أى منهج خارجي في سبيل وصولها إلى امتلاك إرادتها ، فمنهجها هو وحده القادر على التمكين لها ، ولقد كانت هذه الأمة تمر بالآزمات على مدى التاريخ فلا تجد مخرجا منها إلا أن تعود إلى منهجها الربانى الأصيل وعندئذ يعود لها مجدها وعزها ، وهى لا تستطيع أن تقيس أمورها ولا تحل قضياتها ولا تعالج مشاكلها إلا من منطلق المنهج الربانى الذى رسم لها وسائل النصر وأسباب التقدم ، فإذا عادت إلى أصلتها كشف الله تبارك وتعالى عنها أزمتها .

هذه حقيقة لم يعد في الامكان تجاهلها وهذه الأمة قد اختارت أن تسير على هذا الطريق ، على طريق بناء المجتمع الربانى الصادق الوجهة إلى الله تبارك وتعالى المتحرر من كل العوائق ٠

ويقيني أن أشد الأخطار التي تواجه أمتنا هي (الفزو الفكرى) الذى يحاول جاهداً أن يزيل هوية هذه الأمة وأن يصهرها في بوتقة الأهمية العالمية حتى تقعد طابعها الإسلامى القائم على الجمع بين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والدين والعلم ، والدنيا والآخرة ٠

إن الهدف الذى يطمع فيه أعداؤنا هو وقوع شبابنا في محاذير التحلل والأهواء والمطامع الصغيرة ، وبذلك يفقد مثله الأعلى وهو حماية الوجود الحقيقى لهذه الأمة وذلك بالتماس الأهواء المضلة ٠

ومن هنا فهذا مجموعة من الحقائق التي يجب أن تكون دائمة نصب أعين دعائنا وشبابنا لمواجهة الأزمة ٠

أولاً : لا بد أن يكون العمل الحقيقى المطروح اليوم هو (أسلامة العلوم والمناهج) وأسلامة التكنولوجيا : ذلك أنه لا بد أن يتسلح المسلمون إلى جانب فهمهم الأصيل للإسلام : (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) بهذا السلاح لكسر طوق التبعية والاستغلال ولتسخير طاقات مواردها لتنمية الإنسان المسلم والوطن المسلم ، وتحرير المستضعفين في الأرض من السيطرة العالمية ٠

ثانياً : لا بد من إقامة نظرية جديدة للتعليم الإسلامي تختلف عن المنهج التغريبى المفروض الآن في عديد من البلاد الإسلامية حيث الولاء للوطنية الإسلامية الجامحة ، وتحصينه ضد المؤامرات وغرس الولاء للوطنية الإسلامية الجامحة ، وتحصينه ضد المؤامرات والمفاهيم الوافدة ٠

ثالثا : لا بد منوعي كامل إزاء محاولة إحياء الفرق القديمة والتيارات الضالة (كالباطنية والقرامطة وإخوان الصفا ، وبشار وأبي نواس وابن المقفع والحلالج وابن عربي والسموردي) فكل هذه التيارات ترمى إلى هدم مفهوم أهل السنة والجماعة .

رابعا : إن التجربة الحضارية المعاصرة لا نقبلها تماما ولا نرفضها كلية ، ولكن نقبل منها ما يصلح لإحياء حضارة الإسلام على أن يكون كل ما قبله بمثابة مواد خام ، تدخل في نظام الإسلام بثوابته ومتغيراته ، وتشكل داخله وفق مفهوم الإسلام للحضارة والمجتمع .

خامسا : قدم الإسلام مفاهيم ومقاييس صحيحة في مختلف أمور الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية تختلف اختلافا واضحا عن مفاهيم الغرب المطبقة الآن في البلاد الإسلامية والتي ورثناها عن مرحلة النفوذ الاستعماري ، والتي يجب أن تتحرر منها .

سادسا : إن محاولة بناء منهج فكر عربي على أساس النظرية العلمانية تخضع له الأجيال الجديدة قد سقط تماما لأنها منهج زائف ، ليس أصيلا ولا مستمدأ من تراث هذه الأمة أو قيمها ، وإنما كان محاولة لتبرير الواقع وتقبليه ، وطرح مفاهيم مسمومة ترمى إلى عزل مفهوم الإسلام الجامع القائم على أنه منهج حياة ونظام مجتمع .

سابعا : لقد سقطت التجربتين : الليبرالية والماركسية في التطبيق ، كما فشلت فكرة القومية الوافدة والإقليمية وسقطت دعاوى الفرعونية ، وما يقال عن الديمocrاطية ليس هو مفهوم الشورى ، وما يقال عن الاشتراكية يختلف عن العدل الاجتماعي .

ثامنا : يجب التنبه إلى الخطر الذي يواجه الصحة الإسلامية الآن وهو القضاء على التميز الخاص والذاتية الإسلامية وهو هدف التغريبيين والعلمانيين .

عصر القرآن

اذا كان بعض المفكرين قد أطلق عبارة (عصر العلم) على المرحلة التي تعيشها البشرية منذ القرن الخامس عشر الميلادي إلى اليوم فإننا نستطيع بكل ثقة ويقين أن نطلق على ما تتحول إليه البشرية اليوم شيئاً وتبعد في كل يوم عالمة من علاماته ومظهر من مظاهره : « عصر القرآن » هذه العلامات قد تعددت واتسعت وانداحت على القارات الخمس حتى أصبحت الشمسم لا تشرق كل صباح في أي قطر غربي إلا على مسلم جديد ، وهذه المحاولات في مراجعة الأخطاء وتصحيح المفاهيم وتغيير النظرة القديمة في كتابات المستشرقين والمبشرين ، وغيرهم ، وهذه الدراسات المنصفة التي تكتب عن محمد – صلى الله عليه وسلم – وعن الإسلام والقرآن ولللغة العربية حتى يضع غربى مسيحي سيدنا محمد على رأس الأعلام المائة ، وهذا الاعتراف بفضل الإسلام على الحضارة الغربية ، وهذا التقدير الواضح للفقه الإسلامي وخصوصيته وعظمته وآيات عطائه ، كل هذا يمثل نافذة رحبة يضيء منها القرآن على العالم اليوم ، في عصر الحيرة والشك والقلق والتمزق النفسي ، وحيث فقد الناس في العالم كله ثقتهم في الأيديولوجيات والمذاهب والدعوات بعد أن تكشفت لهم من ورائها أهواء وزيف ، فهم يتطلعون إلى شيء فوق الشك ، يملأ القلب بالثقة واليقين ، شيء واحد على الأرض مازال مرتبطاً بالسماء مستمدًا منها ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هو القرآن الكريم ٠

فنحن حقاً وصدقاً على أبواب (عصر القرآن) : عصر النور

الإلهي الكاشف ، وعصر الحقيقة الواضحة ، وعصر الإيمان واليقين ، وهو العصر الذي سيعطي كل شئ مهمته الحقيقية دون قصور أو تقصير . هذا القرآن الكريم « المنهج » الذي أعطاه الله تبارك وتعالى للبشرية عندما وصلت إلى مرحلة النضوج والرشد والقدرة على التحرر من أهواء البشرية وطفولتها ، عندما أذنت بانتقالها إلى الإنسانية على يديه ، منذ خمسة عشر قرناً أهدى الله البشرية منهاجاً الرباني في أسلوبه الرائع وبيانه الرفيع ومضمونه الكريم ، وبه قدم للإنسانية ثروة ضخمة واسعة في مختلف مجالات الحياة ، ولكن البشرية أرادت أن تأخذ ما تهوى ، فأخذت المنهج التجريبي وصنعت به الحضارة وتجاهلت أن المنهج غير متكامل ، وغير جامع ، وغير مترابط ، وأن أي نظام يقوم عليه سيظل نظاماً مضطرباً ممزقاً ، تخترقه الأحداث وتتقاذفه المتغيرات .

إن شرط (منهج القرآن) أن يطبق كاملاً وأن يبدأ من نقطة البدء : من لا إله إلا الله ، حيث الإنسان والمجتمع والحضارة الله خالصاً لا للمطامع ولا للأهواء ، ولذلك فإن المنهج التجريبي الإسلامي حين أخذته أوروبا ففصلته عن (البعد الإلهي) على حين أن أمر المجتمع والعلم والحضارة كله إلى الله وحده (٢) تجاهلت قانون الثواب والمتغيرات (٣) أنكرت المسؤولية الأخلاقية والمسؤولية الفردية (٤) وهي أخطرها أنكرت ارتباط الفكرة بالتطبيق وارتباط المنهج بالتجربة وهي الخطوة الخطيرة التي أقدم عليها (ديكارت) فمزقت الحضارة الغربية منذ ذلك اليوم ، وعلى هذا النحو لم يعد في إمكانها العودة .

ولا شك أن ارتباط المنهج بالتطبيق قضية كبرى في القرآن تتصدر سورة كريمة من سوره وتدق الأبواب بقوة لتقول :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ كَبُرَ مُقْتَأْ عِنْدَ
اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يَقْاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفَا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ » (١) ۝

هذه هي قوانين الإنسان في بناء الحضارة والمجتمعات والحياة ، فإذا انتقضت عجزت ، وأصابها الاضطراب ، واحتقرتها المتغيرات ، ولوت هي عنقها وعصت فكان لابد من خرابها ، ولقد كشف القرآن من قوانين سقوط الحضارات وهزيمتها حتى ما تستعلى على الله وعلى الحق وعلى حدود الله ، وقد كشف القرآن « سنن الله » في حضارات الأمم التي زاغت واستعملت بغير الحق : (فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلاً) (٢) (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكأنوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات والأرض إنه كان عليه قديراً) (٣) سورة فاطر ۝

لقد اندفعت الحضارة في طريقها فاستترفت ثروات العالمين ، وفتحت أبواب الترف والفساد وأعطت الآلوف وحرمت الملايين ، وهددت البشرية بالأخطار الرهيبة ، فكان هذا آخر عصر العلم ، وأول عصر القرآن ، لقد قدم الله تباراً كثوتعالى منهجه الرباني للبشرية وترك لها حرية قبوله إذا شاءت (من يشاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقد أقبلت على منهجها البشري الذي يحقق أهواها ومتامعاها ، فماذا رأت ؟ ، رأت نفسها تعيش عصر الأزمة والتمزق والانهيار والفساد ،وها هي اليوم تتطلع إلى منهج جديد ، إلى نور جديد ، إلى مخرج لها من مرحلة الظلم الحالك الذي وصلت إليه .

(١) الصاف / ٢ ، ٤ ، ٣
(٢) فاطر / ٣
(٣) فاطر / ٤ ، ٤ ۝

إن كتابات المفكرين الغربيين الأعلام ، الذين درسوا الإسلام في الغرب وآمنوا به ، تكشف تماماً عن حاجة البشرية إلى نور جديد ، وليس غير القرآن ، والى منهج جديد ، وليس غير منهج الله ، انه هو وعلى مختلف البيئات وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يعطيها أمان الحياة وأشواق الروح وراحة الصميم .

لقد جربت أوربا كل مذهب وكل أيديولوجية ، وجرت وراء كل صيحة ، ولكنها لم تتحرر يوماً من أهوائها ولم تلجم إلّى ربها ، ولم تلتمس الطريق الأصيل ، لابد أن تعود البشرية إلى الله فتقبل حدوده وقيمه ، أما الإسلام فإنه لن يكون يوماً من الأيام مبرراً لفساد الحضارة ، ولا مؤولاً للأخطاء البشرية ، إنه الحق القوى الثابت الذي يجب أن تخضع له الأمم والشعوب وتختبئ له القلوب والعقول ، على البشرية أن تسلم وجهها لله تبارك وتعالى وأن تقبل بطريقه وغاياته ، فالإسلام وحده هو القادر على أن ينقذها من أزمات التحلل والتمزق والفساد التي تحتويها الآن ، كما أنه ينقذها أيضاً من عذاب يوم القيمة ، إننا على أبواب (عصر القرآن) فإذا لم تصدقوا فراجعوا أوراقكم مرة أخرى .

الإسلام في عصر القرآن

كتب العلامة « محمد فريد وجدى » كتابه (الإسلام في عصر العلم) في إبان ارتفاع موجة استعلاء نظريات العلم المادى ودخول نظرية « دارون » إلى بلاد الإسلام عن طريق ترجمة الدكتور « شبلى شمبل » لها عن طريق أشد غلاقتها وهو (بختر) الذى كان يطمع فى أن تسيطر هذه النظرية على المجتمعات الإسلامية فيتخدونها تماماً عاماً ومنهجاً في مختلف شئون الحياة والفكر معتقداً أنهم بذلك يخرجون من الجمود إلى التقدم ، وقد تصدى له هذا الكاتب المسلم ففند آراءه وكذب أحلامه ، وكان « السيد جمال الدين الأفغاني » قد هاجم المذهب المادى قبل ذلك بكتابه (الرد على الدهريين) .

وقد مضت منذ ذلك الوقت أكثر من سبعين عاماً تكشف فيها أمران خطيران :

أولاً : أن النظرية المادية لا تستطيع أن تكون ديناً ، أو تحل بدلاً من أي دين لأنها تفقد العناصر الحقيقية للعطاء الذي يتطلع إليه الإنسان الذي خلقه الله تبارك وتعالى من قبضة الطين ونفحة الروح ، فاستوى بشراً سوياً لا يصلح أمره إلا منهج رباني متكامل ، ومن هنا سرعان ما سقطت نظرية سيطرة العلم على الإنسان .

ثالثاً : أن نظرية « دارون » بالذات قد ثبت فشلها وتبيّن أن « دارون » وصل إلى نقطة معينة فلم يستطع أن يتجاوزها وهي الحلقة المفقودة ، وأن دعوه في العلاقة بين الإنسان والقرد لم تثبت ، وكشفت الحفريات عن عظام الإنسان منذ مليون وستمائة

ألف سنة ، أن الإنسان ينتمي إلى فصيلة أخرى فصيلة القرد ، وأن أهم ما يميزه أن شكل الجمجمة والأسنان وعظام الساق تشير إشارة واضحة إلى شكله وكيفية سيره ، لأن زاوية ارتباط العمود الفقري بقاع الجمجمة تؤكد أنه كان قادرًا على المشي مثلث تمامًا ، ولم تكن له صفات الوحش المقدس . نشر هذه الحقائق العالم « ليكى » (مدير المتحف الوطني في كينيا) الذي استمر في أعماله الحفريّة لمدة تقارب ثمانية وعشرين عاماً قبل أن يصل إلى اكتشافه الهام عام ١٩٥٩ ، وقد فسر « ليكى » الاكتشاف بأنه فرع جديد من شجرة التطور الإنساني يختلف تماماً عن شجرة « دارون » وقد استمر في أبحاثه حتى أصبح شوكة في جنب علماء الأنثروبولوجيا ، كذلك فقد أذاع البرفسور « جوهانس هودير » العالم الأخرى في سينماً بسويسرا بياناً ١٩٥٩ عارض فيه نظرية « دارون » بشدة وقال إنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالات القرود ، وأن التجارب الواسعة التي أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً ، وكذلك أعلن الدكتور « دونير » (جامعة كولومبيا) والبرفسور « هوردلر » ١٩٥٦ أن نظرية « دارون » لا أساس لها من العلم وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالاً تاماً ، فمنها الإنسان الذي يمشي على رجلين ، ومنها الدواب التي تمشي على أربع ومنها الزواحف التي تمشي على بطنها .

وصدق الله العظيم : « فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجليه ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء » (١) .

(١) سورة النور الآية ٤٥ .

وهكذا تبين أن العلم قد تضاءل وأهنى رأسه أمام القرآن ، ذلك لأن العلم نفسه : هذا العلم التجربى هو من عطاء القرآن ، فلم تكن هناك إلا نظرية التأمل الإغريقية وأفكار « أرسطو » عن ثبات الكون ، ولم يكن هناك إلا رهبانية المسيحية ، حتى جاء الإسلام فقدم للبشرية أصوات العلم : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض »^(١) – (النظر والاعتبار) – (البرهان)^(٢) « قل هاتوا برهانكم »

فكان النظر والاعتبار والبرهان مصدر المنهج العلمي التجربى الذى حمل لواءه المسلمون ، ورجعوا به كل تراث العلم القديم ، فكشفوا أخطاء « جالينوس » و « أرسطو » وغيرهم ، وأقاموا منهجه التجريب لأول مرة في تاريخ العالم ، هذا المنهج الذى طورته جامعات المسلمين في الأندلس (قرطبة وبلنسية وأشبيلية) ثم أخذه الغرب وادعى علماؤه أنه من عطائهم ، وأقاموا (مؤامرة الصمت) حول عطاء المسلمين حتى كشفته الأحداث .

فالإسلام في الحقيقة هو الذى أقام المنهج العلمي (١) التجربى (٢) منهج المعرفة ذى الجناحين (المادى والروحى) هذا المنهج الذى أقامه علماء الحديث ، وطوره علماء التاريخ والفكر والمجتمع ، والذى وصل قمته بمقدمة « ابن خلدون » التي رسمت للبشرية منهج كتابة التاريخ ومنهج الاجتماع .

كل هذا من عطاء الإسلام للبشرية مستمدًا من القرآن الكريم ، وقد حاول الكثيرون التشكيك في نظريات « ابن خلدون » وادعوا أنه عرف فكراً يونانياً أو رومانياً ، ولكن جميع الدلائل تثبت أن « ابن خلدون » هو ابن الأسس التي رسمها القرآن لقيام الأمم والحضارات وسقوطها : هذه الأسس التي تطورت من خلال علماء مسلمين كثيرين حتى استقرت على النحو الذي قدمه (ابن خلدون) .

(١) سورة يونس الآية ١٠١ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١١ ، سورة الانبياء الآية ٢٤ .

وأينما توجه نظرك في مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية تجد الأصول الإسلامية هي الأساس ، فما كان لدى الغرب عند ظهور الإسلام أو عند العالم كله شيء سوى شذرات من الفكر الوثنى والأساطير ، بعد أن انفصلت الأمم عن كتب السماء وعارضتها ، وأعلنت من شأن الفكر الإغريقي الذي كان يسمى (علم الأصنام) أو الفكر الغنوصي الشرقي الذي شكلته الموسوية والباطنية وفكر الهندوكيّة والفرعونية والبوذية ، وكان ميراث التثليث القديم مسيطرًا عليها أو ميراث الثنائة (النور والظلمة) ، أو مفاهيم « أختانون » في عبادة إله الشمس بدليلاً من مجموعة الآلهة حتى أطلق عليه (التوحيد) تضليلًا ، حتى جاء الإسلام فصعقت له كل هذه الآلهة المبطلة والوثنيات وعبادة النار وعبادة الأجساد ، وحرر النفس الإنسانية من الوثنية وحرر الإنسان نفسه من عبودية الحضارات والأباطرة ، يقول أرسسطو وأفلاطون إن الرق شيء مقدس وأنه أساس لكل الحضارات وأن الرقيق لا يمكن أن ترقى إلى مكانة السادة الجالسين في القمة .

ولذلك فنحن حين نقول إن القرآن هو الذي أنشأ العلم ، وأن العلم الذي يعيش فيه العالم الآن مدین له وحده بهذا العطاء الضخم ، الذي أدخل البشرية في عصر التحولات الخطيرة والتكنولوجيا ، ولو أن الغرب حين أخذ منهج التجريب أخذ معه مفهوم الحضارة الإسلامية (الرحمة والعدل والإخاء البشري) لما وقعت البشرية في أزمتها التي تعتصرها الآن وتذيقها ألوان الاضطراب والتمزق ، ذلك أن خطيئة الغرب أنه أخذ العلم التجريبي وفصله عن المنهج الإنساني الذي شكله القرآن فتحول سريعاً إلى مادية عسراً شاقة ، هي شطر النفس الإنسانية المشككة من المادة والروح ، ولذلك فإن هذه الحضارة قد جهلت المصدر الأول وأنكرته وتعالت عليه ،

ونسيت الخالق الصانع ، وأطلقت اسم (الطبيعة) عليه وهو في
الحقيقة صانع الطبيعة و منشئها من العدم ، لقد فاقت الحضارة الغربية
اليوم : ذلك بعد الربانى الذى هو دعامة البقاء ، وبذلك وضعت
نفسها فى موضع الحضارات السابقة الخارجة عن منهج الله والتى
توعدها الله تبارك وتعالى بالتدمر .

« وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله محاسبتها حسابا
شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها
خسراً » (١) .

(١) سورة الطلاق الآية ٨ ، ٩ .

الانطلاق

إن أهم الأسباب التي عملت على عجز المسلمين عن الخروج من أزمة التخلف هي الاستسلام إزاء الغزو الفكري وقبول التبعية والتقليد والانبهار بحضارة الغرب .

لقد تباهى المسلمون للخطر عندما احتلت الجزائر ١٨٣٠ ، وتحرك بعض المفكرين المسلمين لبحث هذه الظاهرة الخطيرة : ظاهرة احتلال الأجنبي لديار الإسلام ، وقام الإمام « محمد على السنوسى » بالعمل على مواجهة الأزمة ، فقام بعمل ايجابي واضح الدلالة في إعادة بناء أجيال الشباب على الفداء والعمل ونشر الدعوة الإسلامية ، وتجربة الزوايا السنوسية واضحة ومعروفة ، وإذا كانت هذه التجربة قد قامت في محيط البلاد العربية أو شمال إفريقيا ، فإن التجربة التي سبقت في الهند والتي قادها الإمام « أحمد بن عرقان » قبل ذلك ١٨٢٠ كانت تمثل المواجهة للغزو الغربي لعالم الإسلام .

وكان الإمام « محمد بن عبد الوهاب » (١٧٤٠ م) قد أعلن دعوته إلى تحرير العقيدة الإسلامية من مفاهيم الجبرية الصوفية كمنطلق حقيقي لتحرير المسلمين من النفوذ الأجنبي .

وتواترت الدعوات في مختلف أجزاء العالم الإسلامي للخروج من الأزمة ، غير أن النفوذ الأجنبي كان قد أحكم نفوذه في البلاد ، وطالت المعركة التي لم تكن في يوم من الأيام تمثل استسلاماً للاحتواء أو الانصهار في بوتقة الغرب ، غير أن قدرة النفوذ الأجنبي في البلاد التي احتلها أدت إلى تغيير ثلات معالم أساسية في

المجتمعات هي : التعليم ، الاقتصاد ، القانون وكان لهذا التغيير الأثر في تشكيل الأجيال الجديدة التي تقبلت الحضارة الغربية ، وجهلت جوهر الإسلام الحقيقي .

وكان أخطر ما هناك تلك الدعوة التي انطلقت من معسكر الموالين للنفوذ الأجنبي وهي أن تقليد نظام الغرب هو الوسيلة الوحيدة للتحرر من هذا النفوذ . وقد كذبت الأحداث هذه الدعوى التي لم تتحقق إلا مزيداً من الاحتواء والتبعية .

ولقد كان الظن أن الغرب وقد استيقظ عندما أخذ بالمنهج التجريبي الإسلامي ونقل مذهب « مالك » وأقام فكره الجديد عليهما ، أنه ربما يكون أخذنا بالفكر العربي ليس إلا بمثابة استرداد بضاعتنا ، هكذا فهم « رفاعة الطهطاوى » في مصر و « خير الدين التونسي » في تونس عندما زارا الغرب أوائل القرن التاسع عشر وأعجبوا بالحضارة ، ولكن المسألة لم تكن بهذه البساطة ، فإن الغرب قد صاغ كل ما أخذه من الإسلام سواء في مجال العلوم التجريبية أو الاجتماع والاقتصاد والقانون ، قد صاغه في بوقته اليونانية الرومانية المسيحية القديمة ، واستفاد منه دون أن تتغير ذاتيته الخاصة ، ولكننا نحن مع الأسف عندما أخذنا من الغرب تحولنا عن طابعنا المميز وكدنا نفقد ذاتيتنا ، وذلك نتيجة الانهيار بحضاره الغرب وقبول التبعية .

التحول :

لم يستسلم المسلمون أمام النفوذ الأجنبي وقاوموه ، غير أن الغزو الفكري الذي حاول السيطرة على القانون والتعليم والاقتصاد كان عميق الأثر في تعويق المسيرة نحو الخروج من الأزمة ، فقد مضى وقت طويل حتى عرف المسلمون أن النهوض في الأمم لا يكون

بمناهج وافية من أمم أخرى ، ولا من الأمم السيطرة أساسا ، ولقد كان لل المسلمين تاريخ طويل في مواجهة الأزمات ومحاولات الاحتواء قوامها (العودة إلى المناهج) واستلهام منهج الإسلام نفسه القادر على إخراجهم من الموقف الحرج .

فكان اصطناع أسلوب الغرب في مواجهة الأمور – على مقاييس تختلف عن مقاييس الإسلام ونواته التي رسماها في بناء الحضارات والأمم ثم قيامها مرة أخرى إذا عادت إلى منهج الله – سببا في استمرار أزمة التخلف ولقد كان النفوذ الأجنبي قادرًا على تحقيق هدفين أساسين حال دون الخروج من الأزمة بعد ذلك :

أولا : القضاء على الوحدة الإسلامية الفكرية وذلك بإثارة الخلافات الخاصة بالقوميات أولا ثم إثارة الخلافات المذهبية وإحياء الفرق القديمة .

ثانيا : فرض مناهج فكرية وأيديولوجيات تختلف مفهوم الإسلام في قضيا السياسة والمجتمع والاقتصاد والتربية .

كل هذا عوق المسيرة إلى الخروج من الأزمة ، وأطّل أمد الاحتواء ، غير أن التجارب التي قامت على اعتناق هذه المذاهب والأيديولوجيات كلها أثبتت عجزها عن العطاء الحقيقي لأشواق النفس المسلمة التي تشكلت خلال أربعة عشر قرنا على منهج القرآن .

كذلك فقد طرح الاستشراق شبّهات كثيرة بهدف تزييف مفهوم الإسلام الأصيل ، والقضاء على مفهومه الجامع للعلاقات بين الله والإنسان والمجتمع .

ولقد كانت التجربة التي مر بها العالم الإسلامي في بعض بلاده لتطبيق منهج الغرب ، وفشل هذه التجربة قد فتح الطريق أمام حقيقة أساسية : هي أن الأمم لا تستطيع أن تدخل مرحلة النهضة إلا من خلال منهجها الأصيل الذي تشكلت عليه .

ولما كانت الأمة الإسلامية قد تشكلت على منهج جامع بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، والعلم والدين ، والدنيا والآخرة فإنها لن تستطيع أن تتحقق ذاتها وتبني كيانها إلا من خلال منهجها ، ولا يستطيع أي منهج وافد أن يحقق لها هذه الغاية ، من حيث اعتماد مناهج الغرب على النظرة المادية ، وخلوها من البعد الإلهي في بناء الحضارة والبعد الأخلاقي في حركة المجتمع .

الفانية :

مررت حركة اليقظة الإسلامية بمراحل مختلفة :

المرحلة الأولى : هي الدعوة إلى تحرير العقيدة من قيد التقليد .

المرحلة الثانية : هي الدعوة على المحافظة على الذاتية الإسلامية من الاحتواء .

المرحلة الثالثة : هي التحرر من التبعية للمناهج الوافدة .

وقد كان تصحيح النظرة إلى الحضارة الغربية هي المنطلق الحقيقي للخروج من دائرة التخلف ، فالمسلمون يؤمنون بأن لهم « أسلوب عيش » خاص بهم يختلف عن أسلوب عيش الغرب ، ويؤمنون بأن الثقافة قومية ، والمعروفة عالمية ، وأن أدوات الحضارة هي أدوات صماء يمكن شغلها بوجهة النظر الخاصة بالأمة ، فليس قبول أدوات الحضارة يعني بالضرورة القبول بثقافات الأمم التي

صنعتها ، والمل慕ون ينظرون إلى الفكر العالمي والإنساني نظرة مفتوحة ، فهم يدرسون تجارب الأمم ، ويستقيدون منها ، ويقبلون التنظيمات ولا يقبلون النظم ، وكل ما ينقلونه إلى دائرة فكرهم يكون بمثابة « مواد خام » يشكلونها على النحو الذي يتلاءم مع فهم فكرهم ،

والناظرة الإسلامية قائمة أساساً على التوحيد والإخاء البشري والرحمة ، ولهذا فإن منهجهم وعقيدتهم ربانية المصدر ، إنسانية الهدف ، عالمية الغاية ، ولقد أعطاهم الإسلام منهج المعرفة (ذى الجناحين) الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، ويفهمون مسئولية الإنسان في الحياة فمما واسعاً ، قوامه السعي في الأرض وتعميرها ، من خلال المسؤولية الفردية واللتزام الأخلاقي والإيمان بالبعث والجزاء الأخرى .

هذه الناظرة تجعل المنهج الإسلامي أشد رحابة وسعة وسماعة من المناهج الوافدة ، وفي الإسلام تتكامل الناظرة بين القيم ولا تفترق ، ومن هنا فإن حاجة المسلمين إلى الحضارة المعاصرة هي حاجته إلى العلم والتكنولوجيا ، حتى تتمكن الحضارة الإسلامية التي قدمت للبشرية المنهج التجربى من استئناف العطاء ، ويستطيع الإسلام اليوم أن يخرج البشرية من أزمتها ويعمرها من عبوديتها المادية ، ولما كانت الحضارة الغربية قد وصلت إلى مرحلة المحادق ، وعجزت عن العطاء ، وطالب العالم كله بنظام جديد فإن الإسلام هو النظام الوحيد القادر على إسعاد البشرية ، ويشهد بذلك عشرات من مفكري الغرب أنفسهم .

ولا خوف من نماء الفكرة الإسلامية وتوسيعها فذلك هو المطلق الحقيقي لمنهج استطاع أن يسعد البشرية ألف عام ، ولم يكن تخلفه

أو قصوره إلا نتيجة سنن الحضارات والمجتمعات نفسها في التحول ، وقد تبين اليوم لل المسلمين أن « العودة إلى النّابع » هي المنطق الحقيقي لتحريرهم من التبعية لذاهب الغرب بشقيه .

فإذا كانت الحضارة المعاصرة متقدمة إلى طريق مسدود وتواجه نفس الظروف التي انتهت إليها الحضارات الرومانية واليونانية والفارسية والفرعونية القديمة وهي الانهيار (نتيجة الاستعلاء بالعنصر واستبعاد الفرد وتجاوز حدود الله) . فإن البديل الوحديد الحقيقي هو الإسلام القادر على العطاء .

ومن هنا فإننا نستطيع أن نقول إن مرحلة تخلف المسلمين تتخطى حيثاً ، وتقرك من ورائها قاعدة أساسية لقيام المجتمع الرباني الذي تطلع إليه البشرية .. وقد جاء موعده .

إعادة كتابة العلوم ودوائر المعارف

اعتقد أن الصحوة الإسلامية قد أخذت تدخل مرحلة جديدة يمكن أن يطلق عليها مرحلة تحرير المفاهيم من المصادر الوثنية والمادية والعلمانية ، ويبدو هذا واضحا من اهتزاز محاولات احتواء الفكر الإسلامي بعد أن ضربت التيارات الثالثة : العلمانية والماركسيّة والقومية ، وتعرية أهداف الاستشراق ، وانكشف الدور الخطير الذي تقوم به خطة التغريب والغزو الثقافي في مجال الصحافة والثقافة ومناهج الدراسة في الجامعات والمعاهد ، وخاصة بالنسبة لما أطلق عليه (علوم) النفس والأخلاق والمجتمع ، وهي في حقيقتها ليست إلا فرضيات قدمها علماء غربيون في مواجهة تحديات مجتمعهم ، ثم نقلت إلى أفق العالم الإسلامي فلم تجد قبولا ولم ينفع غراسها .

ويترجم اليوم الفكر الإسلامي بأصالته مفاهيم الفكر الوافد في كل مكان ، وتنساقط الأسماء المغربية كأوراق الخريف بعد أن تكشفت هويتها ، ولم يعد يصدقها أحد فيما تقول أو يثق فيما تعرضه ، هذا بالرغم من ضعف وسائل حركة الصحوة الإسلامية وصحنها المتواضعة ، وتصاعد منابر التغريب وتوسعها وقدرتها على حجب الحقيقة وتجاهل الرأي المخالف ، وحماية كيانها من النقد أو المساجلة بغية إظهار الحق ، وظهور ذلك القدر من اللجاجة والمناورة والخداع على ألسنة أصحاب الباطل للدفاع عن موقفهم المنهاج .

إن قوى الغزو الثقافي والتغريب التي تملكت في الصحافة والجامعة ومؤسسات الثقافة والفن والمسرح وأدوات التقنية والترفيه ما تزال قادرة على أن تبث سمومها على أوسع نطاق ، ولكن الأصالة التي أخذت تتمكن في النفس المسلمة وتعمق ، لم يعد

يخدعها بريق الحضارة بترفها وكشفها وحوار مسرحياتها النازل والماهيم المسمومة التي تجري على السنة أبطالها . لقد اتسع الوعي الثقافي الإسلامي ووضع ، بعد مراجعته لنظريات (دارون وفرويد وماركس وسارتر) ، واقتناعه بأن النظرية المادية إلى التاريخ والتراث ليست أصلية ، وأن الإسلام له علم اجتماع وعلم نفس ، ونظرية في الأدب ومنهج في الاقتصاد ، وأسلوب في التربية يختلف اختلافاً واضحاً عن أسلوب الغرب الوافد سواء كان ماركسياً أو صهيونياً أم غربياً مادياً .

لقد وضح الآن أن هناك نظرية في العلوم تستمد منهجها من الدين وإن أخذت ذلك ، ومصدرها العقائد القديمة والموروثات والأساطير القديمة التي تجمعت هنا وهناك ، وأن ما يدعى المنهج العلمي الغربي في البحث ليس في الحقيقة إلا المنهج الإسلامي الذي حرف ودخلت إليه مفاهيم النحل والملل ، فصار هناك علم نفس مسيحي ، وعلم نفس يهودي ، وكذلك الأمر في العلوم الإنسانية التي اعتمدت نظريات الخطيئة الأولى ، ونظرية عبادة الجسد ، ونظرية حيوانية الإنسان ونظرية الصدور عن الجنس أو المعدة في وجهة الحياة (على النحو الذي نراه في فرويد وماركس) وهذه كلها تختلف مع الإسلام تماماً ، سواء في نظرته العامة كمنهج جامع يحمل طابعى الروح والمادة ، والسماء والأرض ، والدنيا والآخرة أو في مفاهيمه الخاصة حول رسالة الإنسان في الحياة ونظرته إلى الكون وقوانينه في قيام الأمم والحضارات وسقوطها .

واعتقدت بعد أن أسقطت الصحوة الإسلامية (التيارات الثلاثة : القومي العلماني والماركسي) وكشفت عن أنها انشطارية ، وأنها لا تمثل جوهر النفس الإسلامية ، أن الطريق قد انفتح تماماً أمام الحقيقة الربانية المصدر الإنسانية الجوهر التي قدمها الإسلام

والتي غفل عنها الناس خلال الأجيال حتى أوقت الحضارة الغربية المادية تجربتها الضخمة وتبين لأهلها أولاً فساد هذه التجربة التي انحرفت عن منهج الله ، والتي جرت شوطاً طويلاً ضد التيار وتجاهلت خالقها ، وأنكرت وجهته ، وغفلت عن البعد الأخلاقي للمجتمع والبعد الرباني للحضارة ، وكان من الضروري أن ترطم بقانون الله في الكون والحياة والأمم ، إن الأمم التي عنت عن أمر ربها وخالفت قواميسه ستتسقط حتماً ، وهذه علامات الغروب وأوضحة في كل تصرفات هذه الحضارة ولا بديل عن طلوع الفجر في موعده .

إن الإرهادات بعصر (خلافة على منهج النبوة) الذي بشر به الرسول الأمين تتعدد . هذه الصين (ألف مليون) تعلن سقوط مذهب « ماركس » وعجزه عن العطاء بعد تجربة خمسين عاماً ، هذه نظرية « دارون » عن التطور المطلق تواجه بالحفريات التي ثبتت أن الإنسان منذ وجد وقادته قائمة ، وأن عنصره كان مستقلاً عن العناصر المختلفة ، هذه الدلائل التي كشفت زيف دعوى تحرير المرأة وأنها كانت مؤامرة عليها ، واليوم تعود المرأة إلى مفهوم الإسلام ، المسلمين يعودون إلى الأصلية من خلال منهج التربية والشريعة والاقتصاد ويحاولون أن يسدوا النقص الثقافي في مناهج التعليم .

وها نحن والاستشراق يتراجع ويحاول أن يقدم دائرة معارف إسلامية جديدة يخفف فيها حملات دائرة المعارف القديمة ويستكتب لها بعض العرب بدلاً من متخصصي الاستشراق ، من تلاميذهم وأتباعهم ، ولكن ذلك لن يكتسبهم ما فقدوه من ثقة الناس بهم إن حملات « جولدسيه » و « شاخت » على الشريعة الإسلامية ، و « مرجليليوث » و « لامنس » على تاريخ الإسلام والرسول لا تنسى لقد عادت الكنيسة الكاثوليكية لتعترف بخطئها مع (غاليليو) الذي تأكّد له صدق النظرية الإسلامية من أن الأرض تدور حول

الشمس ، مخالفًا بذلك الاعتقاد الشائع بأن الأرض هي مركز الكون ، وأن الشمس هي التي تدور حول الأرض .

لقد كانت فكرة التغريب هي (احتواء الإسلام - عقيدة وفكرة وتاريخاً) داخل دائرة المفهوم الغربي ، وتقسيم الإسلام بمفاهيم الثقافة الغربية المسيحية الرومانية اليونانية التي تسود واجهة الحضارة والفكر الغربي منذ أخذ الغربيون علوم الإسلام وخلصته التجريب وقانون بقاء الأمم وسقوطها وقانون المعرفة ذات الجناحين هذه هي المحاولة الخطيرة التي استمرت الآن ثلاثة قرون أو أكثر وتشكلت لها أجهزة ومؤسسات : أهمها التبشير والاستشراق .

كانت الفكرة هي حرب الكلمة ، وكان الهدف هو تأويل الإسلام تأويلاً مسيحياً غربياً مادياً لإخراج الإسلام من جوهره الأصيل ومفهومه الجامع بوصفه حامل لواء التوحيد الخالص (إسلام الوجه الله تبارك وتعالى) وإقامة المجتمع الرباني على الأيديولوجية (المظلومة التي قدمها القرآن كاملة في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية) .

كان الهدف تحطيم هذه القاعدة وإبقاء الإسلام (دينا لا هو تي) (عبادة وصلة) أما الجانب الاجتماعي في بناء المجتمع فقد دعانا الغرب إلى اقتباس منهجه وأسلوبه وأيديولوجيته ، ونقل المسلمين هذه الأنظمة وثبت فشلها ، ثم جاءت الدعوة إلى الماركسية تحت اسم الاشتراكية ، ونقل المسلمون مضامينها ، وفشل في الأخرى ، فشلت التجربة الغربية في أن تعطى النفس المسلمة أسلوبها ومطامحها ، ذلك لأن المسلمين كانوا قد سبقوها هذه المذاهب (المسماة (بالاشتراكية - العدل) و (بالديمقراطية - الشورى) (تضليلاً) منذ أربعة عشر قرنا حين حملوا إلى البشرية منهجه الله

الجامع الذى يستحيل أن يعتوره النقص أو يدخل إليه التحرير أو يتاثر من متغيرات البيئات وتقلبات العصور ، فيحتاج إلى الإضافة والحذف على النحو الذى جرى للديمقراطية والاشتراكية .

وما كان لل المسلمين إذا وعوا (منظومتهم الجامدة) أن يقبلوا ما هو أقل منها ، صراع الطبقات أو استعلاء أصحاب رءوس الأموال ، أو حرية غير منضبطة أو إعلاء للجنس أو المعدة .

ومن هنا فقد كانت أولى مراحل حركة اليقظة :

أولاً : تأصيل القيم وتحرير المفاهيم وإعادة روح الإسلام إلى المصطلحات المتداولة ، وإبراز مفهوم الإسلام في عشرات القضايا المطروحة على الساحة : سياسية واجتماعية واقتصادية .

ثانياً : الكشف عن دور الإسلام البناء في إقامة دعائم الفكر الإنساني والعالمي المعاصر من حيث عطائه في مجال النهج التجريبي (أساس الحضارة المعاصرة) ومنهج المعرفة ومناهج التاريخ والمجتمع وقانون الحضارات .

ويمكن الآن أن نقول إن مؤامرة التغريب قد أصبت بشرخ كبير ، ولذلك فإننا في مرحلة تحتاج إلى صمود متصل وثبات في مواجهة المؤامرات الجديدة ، التي تحاول أن تلبس ثوباً يكسب رضا الذين لا يحيطون بأبعاد المخطط ، وهو أن يستبدل كتاب التغريب الغربيون ، الذي تبين تعصيهم وحقدthem وفساد وجهتهم ، بكتاب عرب لهم ولا يخفى من حدة الخصومة ، وذلك حتى يثنوننا عن إلغاء مراجعهم ، وربما استخدمو ألفاظ الصحة واليقظة ، وربما دعوا إلى مؤتمرات بهدف انتهاص طموح الراغبين في الأصالة ، وكل هذه محاولات فاشلة يجب أن ننتبه إليها ، وأن نمضي قدماً في أن

نشيء دائرة معارفنا الإسلامية الأصيلة ومراجعنا ، وأن ننحي تلك الدوائر المسمومة ولا نعترف بها ولا نعتمد عليها .

إنهم يطالبون بأن تسمى هذه الخطوة (إضافات) ولكن الحقيقة أنها إنشاء من البدء وتصحيح الأخطاء قامت على أساس (الفكرة المسбقة) في مواجهة الإسلام والتشكيك في قيمه .

لقد ثبت تماماً أن دوائر المعارف التي كتبها المشتشفرون والمبشرون ، وترجمت إلى اللغة العربية تحمل من السموم ما يفسد أي نص أو مادة من المواد ، حتى المواد التاريخية نفسها أصابها هذا الفساد ، فهذه أعمال يجب أن يستغنى عنها المسلمون تماماً ، وأن تقوم مصادرهم الأصيلة بتقديم هذه المواد ، ولا يستعن بأى اسم من الأسماء الشعوبية أو التغريبية أو الماركسية في إعداد هذا العمل ، ولنحذر من عملية أنصاف الحلول : تقديم قوانين ليست ذات مصدر إسلامي أو دوائر معارف تقوم في مصدرها الأول على غير مفاهيم القرآن والسنة . إننا نقوم بذلك وفي تقديرنا مسئوليتنا أمام شباب أمتنا المسلم أولاً ، الذي خدع طويلاً بالមراجع الغربية (دائرة المعارف ، المنجد ، الموسوعة العربية الميسرة ، الموسوعة الإسلامية الميسرة) ، ولنعلم أن منه ج العلمي الذي قامت عليه هذه الموسوعات زائف ومضل وقائم على الرأى المسبق بالخصوصية والخلاف والتتعصب ، وعلى الأقل فهو يقوم على تصور كتاب الموسوعة الذين يقتصر فهمهم على تراث اليهودية والمسيحية ، دون إللام - أقل إللام - بمفهوم الإسلام أو لغته أو قرآنها أو تاريخها إللاماً صحيحاً ، أما مسلمو الغرب وأوروبا فهم آخر من ينتظرون منهم أن يعتمدوا على دوائر المعارف الإسلامية الغربية وهم يعلمون فسادها وتزويرها .

لماذا لا يكون الأدب العربي المعاصر عالياً

يتساءل الكثيرون عن سر ضعف الأدب العربي المعاصر وتخلفه وعجزه عن التجاوب مع مجتمعه ، والسر في عجزه عن أن يكون عالياً ، وفي الإجابة عن ذلك نقدم هذه الملاحظات :

أولاً : أن الأدب العربي في هذه المرحلة من تاريخ العرب والمسلمين قد انحرف عن طريقه الطبيعي بوصفه « وحدة » من وحدات الفكر الإسلامي بما دخل عليه من مفاهيم وقيم وافدة من تاحية المخمون وبما اصطنع من أساليب غربية من ناحية الأداء .

ولذلك فإن الإنتاج الأدبي القائم الآن بين أيدينا لا يمثل حقيقة المشاعر التفصية والاجتماعية للمجتمع ، كما أن أسلوب أدائه غريب على الأدب العربي لأنه يخضع للنظرية المادية التي وضعها (برونتيرو ، تين ، سانت بيف) استمداداً من نظرية التفسير المادي للتاريخ والفلسفة المادية التي تعتبر الإنسان حيواناً سواء من ناحية الطعام (الماركسية) أو من ناحية الجنس (لفرويدية) .

ثانياً : أن مترجمات الأدب العربي إلى الأدب الأوروبي التي نمت في العقود الأخيرين لا تمثل حقيقة الأدب العربي ولا أشواط النفس العربية الحقيقية ، لأن هناك تحيزاً في الانتقاء والاختيار تحت عنوان (بضاعتنا ردت إلينا) فإن هوى المترجمين هو أن يثبتوا أن الأدب العربي قد خضع تماماً لمفاهيم الغربية ولأساليب الغربية أيضاً .

ثالثاً : أن المصطلحات التي تستعمل الآن في الأدب العربي دخلة عليه وغريبة عنه ، فهو يحاول أن يخضع لأطوار الأدب الغربي

التي تنتقل بين الكلاسيكية والرومانسية ، ومن السريالية إلى الوجودية ، وهو الآن يحاول أن يقف في خضوع أمام النظرية الجديدة الطاغية عليه وهي البنائية أو البنوية ، كما أن الأدباء خضعوا لسميات كثيرة (كعصر التوبيير) وحاولوا أن يطبقوه على الأدب العربي ، بينما يمثل عصر التوبيير هذا في أوروبا : العصر الذي سيطرت فيه التحولات التلمودية التي عملت على هدم صروح المدرسة المسيحية المتألية من أجل إقامة مفاهيم الإلحاد التي قادها (فولتير وروسو وأصحاب الموسوعة) وكان ذلك مقدمة لإشعال الثورة الفرنسية التي حطمت قواعد الوحدة المسيحية « الغربية » ، وفتحت لليهودية والصهيونية الطريق إلى السيطرة على المجتمع الغربي وتحطيم النظرية الجامحة بين الدين والقومية بتعليب الجنسية وإسقاط مفهوم الدين ٠

رابعاً : مفهومنا الأصيل للأدب العربي أنه وحدة من وحدات الفكر الإسلامي يقوم على قيم الإسلام العليا : التوحيد ، والأخلاق ، والعدل ، والإباء الإنساني ، وهي القيم التي قام عليها مفهوم الأدب العربي بعد الإسلام ، ثم انحرف عنها بعد دخول الوثنيات المجوسية والفارسية ، فالأدباء العربي الآن يحاول أن يفصل بينه وبين بلاغة القرآن والبيان العربي المتداخن العصور ، والذي وصل على أيدي (البارودي وشوقى والمفلوطى والزيارات والرافعى) إلى قمة عالية ، فهو الآن ينحدر إلى لغة الصحافة أو ما يسمى باللغة الوسطى ٠

ذلك فإن الشعر ينحرف الآن إلى قصيدة النثر والشعر الحر ، ويتدلى إلى مفاهيم مكتشوفة ، وأداء عربي ردئ ٠

أما القصة فإنها تقوم على تصورات غربية مقتبسة من الأدب

الغربيّة ولا تمثل النّفس العربيّة المسلمة أبداً ، وهي تحاول أن تصور الانحراف والفساد والتّحلل والكشف على أنها علاقات طبيعية في المجتمع حتى يعتقد الشباب شرعية وجود هذه الظاهره والاندفاعة نحوها ، وهو ما يجري عليه أغلب كتاب القصة ، الذين يصدرون أساساً عن مفهوم علماني لا يؤمن بقيم الدين الحق ، وثني يعطى من نظرية عبادة الأجساد ، مادى لا يقر بوجود المسئولية الفردية ولا الأخلاقية ولا الجرائم الأخرى ، هذا النتاج كله باسم الأدب العربي بوصفه فرعاً من فروع الفكر الإسلامي ، وإنما يمثل انحرافاً طرأ على الأدب العربي بدخول المذاهب الوافدة عليه وعلى المجتمع أيضاً ، ومن هنا فإن هذا الأدب القائم يتمثل في منبعه وأصله سواء من ناحية الأداء أو المضمون ، أو من ناحية تاريخ الأدب أو النقد الأدبي .

وأخطر ما هنا لك هو تقبل النّظرية المسمومة التي تقول بأن الأدب العربي له استقلاله عن الفكر الإسلامي ، وله حريته في مجال الأداء دون اعتبار للمسؤولية الأخلاقية والحدود والضوابط التي قررها الإسلام للمجتمع وهذه أخطر السهام المسمومة التي أصابت الأدب العربي اليوم فضلاً عن تبعيته في مصطلحات العصور والعناصر .

سادساً : أما أن الأدب العربي جدير بأن يكون عالمياً فذلك أمر لا سبيل إلى إنكاره ، فهو بطبيعته الذي يستمدّها من الإسلام يمثل المشاعر النفسيّة السمحنة المستعملة على الخطيئة والجريمة والإباحة ، كما يمثل التسامي من الثانية إلى الغيرية ، ومن الفردية إلى الجماعية والتي لا نفقد معنوياتها في سبيل رسالة التقدم المادية وحدها ، هذا الأدب الذي يصور النفس المؤمنة بالله ، المتصلة به ، والمندفعة في سبيل السعي والكسب والعمaran لتحقيق المجتمع

الربانى ، جديرة بأن يكون إنتاجها الأدبى عالميا ، لأنه إنسانى بطبعه وخلقه بأن يصل إلى كل النقوس المشوقة إلى الإيمان والعدل والإخاء ، ولكن هذه رحلة من الأدب العربى لم تبدأ بعد ، ونرجوا ألا تتأخر كثيرا .

سابعا : كذلك فإن الفكر الإسلامى اليوم هو القادر على تقديم رسالته الإنسانية إلى العالمين ، لأنه قد تحرر من التبعية وانطلق إلى آفاق العدل والرحمة والإخاء الحقيقى .

ولقد كان الفكر الإسلامى في بيان الأزمات التي لحقت بال المسلمين قادرًا على العطاء أكثر من الأدب الغربى ، الذى مازال غارقا في أوهام الاحتواء والتبعية ، والذى لم يستطع بعد أن يكتشف الأخطار والتحديات التي تواجه العرب والمسلمين نتيجة الحصار الذى تفرضه القوى الاستعمارية ، وخاصة خطر التحدى الصهيونى المتمامى .

إن قدرة الأدب العربى على الدخول في مجال العالمية لا تكون بالتبعية للمذاهب الغربية ، وإنما تكون بالتماسه مفهوم الإسلام ، واليوم وقد برزت مدرسة الأدب الإسلامي وقدمت منهجه ووضاحت رسالتها فإن على الأدب العربى أن يخرج من دائرة الاحتواء الغربي المسيحي واليهودي والماركسي ، ويدخل في دائرة الأصالة الإسلامية .

الأوامر على معطيات الأصالة

إن هؤلاء الكتاب الغربيين الذين ينقمون على المؤمنين، إنما هم وإن في قلوبهم إلا كير ما هم ببالغيه، فهم ينزعجون حين يرون الصحوة الإسلامية تنمو وتمتد لأنها دعوة الحق التي ستقضى على باطلهم، الذي ظلوا يروجون له تحت اسم العصرية والحداثة والتقدم واليسار، فهم يدعون أنهم يفهمون الإسلام وأنهم قادرون على النظر فيه وتقديم الرأي في مسائله وقضاياها، وقد جعلوا أمرين:

الأول أنهم نشأوا في أحضان العلمانية ومفاهيم العرب التي تتحدث عن الخلاف بين الدين والعلم وبين صراع مفاهيم قديمة ومواريث مختلطة وبين مفهوم النظرية المادية، وينقلون إلى جو الفكر الإسلامي هذه القضايا وهذا الصراع، وهم يؤمنون أنه باطل وزائف، ولكن وظيفتهم إثارة الشبهات في النفوس، وخلق روح التشكيك والسخرية بكل القيم الصحيحة، على هذا مضى شيخهم القديم وشيخهم الجديد.

الثاني: أن هؤلاء الكتاب مكتوفون تماماً للرأي العام الإسلامي، ومعروفة هوبيتهم وغايتهم، وتبعتيهم، والجهات التي يخضعون لها ويتكلمون باسمها، وهم ساقطون تماماً في نظر الأجيال الجديدة الوعائية التي لا يستطيع أن يخدعها أحد، مهما نشرت لهم الصفحات العريضة في الصحف الكبرى، وممما اقتحموا مجالاً ليسوا بقادرين على عبوره لأنهم لا يملكون من أدواته إلا فيما استشرقاً تبشيرياً للإسلام، ليس هو الإسلام الصحيح ولكنه المفهوم الزائف الذي حاول أن يفرضه التغريب على هذه الأمة،

وآية ذلك فساد فهمهم للمصطلحات ، فهم يتحدثون عن الدين وعن التراث وعن الماضي وعن القديم ، فما هو الدين الذين يتحدثون عنه ؟ ، من القطع أنه ليس الإسلام ، لأن كلمة الدين عندهم تعنى كلمة اللاهوت والعبادة ، وهي تقتصر على مفهوم زائف هو أن الدين عبارة عن صلاة وصوم ومسجد ، وليس الإسلام كذلك في الحقيقة الإسلام علاقة جامعة بين الله والإنسان دين الإنسان والمجتمع ، فإذا كانوا يرون أن الدين الذي فهموه في الغرب يتطور فليس كذلك الإسلام ، وإن كانوا يرون أن الدين الذي عرفوه في الغرب لا يستطيع أن يمثل إلا عصره ، فليس كذلك الإسلام ، وإن كانوا يرون أن العلم قادر ، على أن يدخل على الدين تعديلاً يتفق مع العصر فليس كذلك الإسلام ، ومن هنا فإن فهم هذه اليقظة وحدتها كفيل بالفصل في القضية التي يثيرونها .

إن هذا النظام الاجتماعي السياسي الاقتصادي الكامل الذي يقدمه الإسلام ليس شبهاً بالأيديولوجيات الحديثة التي تخترقها المتغيرات وتختلف أوضاعها حسب العصور والبيئات ، فهذه الأيديولوجيات من عمل البشر ، فهي صناعة العقل ، وهي قاصرة لأنها ليست في حقيقتها إلا تجارب قد تخطئ أو تصيب ، وفرضياً قد تصح وقد تفشل ، وهي تقوم في نظر صانعها على مواجهة تحديات عصر أو مجتمع ، فإذا جاءت لتحاول تغيير الأوضاع فإنها سرعان ما يصيبها العطب وتحتاج إلى الإضافة والمحذف وليس كذلك الإسلام .

ألا فليعلم هؤلاء — ليريحو أنفسهم — أن الجدار الإسلامي ضخم وصامد وقوى ، ومهما تدافعت معاولهم فإنها ستتحطم ، ومهما اندفعت سهامهم فإنها ستترتد إلى صدورهم ، فالإسلام هو كلمة الله تبارك وتعالى التي لا تستطيع أن تقف في وجهها كل هذه المحاولات والمؤامرات .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم والله م Clem نوره » (١)

ومنها حاولوا أن يلبسو مسوح كتاب الإسلام ويصطنعوا
شعارات الصحوة فإنهم كاذبون وخداعون ، وإنما يخدعون أنفسهم
وما يشعرون .

إن حقائق الإسلام الأساسية قائمة لا يستطيع أن يجادل فيها أحد ، وإن الإسلام عقيدة ومنهج حياة ، وهو منهج رباني المصدر ، إنساني الوجهة ، قادر على مواجهة متغيرات الحياة والمجتمعات والأمم إلى نهاية الشوط ، وأنه لم يعجز في الماضي ولن يعجز اليوم أو غدا عن تقديم إجابات صحيحة وحلول سليمة لكل معضلات الحضارة والمجتمع ، وقد قام منهج الاجتهد فيه على هذه القدرة ، شريطة ألا يطلب بعض المغورين بعلمهم والذين يخدمون قوى ت يريد أن تستبقي نفوذها وحصارها للأمة الإسلامية ، يطالبون بأن يستسلم الإسلام أمام فساد الحضارة وانحرافها فيقبل الربا أو يقبل انحراف المجتمع في شأن الخمر وبنات الليل وفساد وسائل التسلية وخروج المرأة عن مهمتها ومسؤوليتها وضوابط العلاقات بين الآباء والأبناء وبين الرجل والمرأة ، فهذا كله لن يقبله المنهج الإسلامي ولن يقره ولن يبرره مهما طالب هؤلاء بما يسمونه (الاجتهداد في الأصول) .

إن هذه دعوة مسمومة لا يقرها الإسلام ولا يقبلها علماء المسلمين مهما دعا إليها بعض الطامعين في مرضاعة الأمراء ، إن معنى الاجتهداد في الأصول هو الخروج عن الحدود الإسلامية الأساسية في الربا والخمر والزنا والميسر ، وهذه لن يقرها مسلم عاقل ، ولن يقبل الإسلام الذي جاء شريعة للعالمين ومنهجا قائما إلى يوم الدين

(١) سورة الصاف الآية ٨ .

مثل هذه الدعاوى المسمومة بل ويطلب الإسلام المجتمعات أن تتحرر
من فسادها وانحرافها وأن تعود إلى الله *

هذا هو الفرق بين مفاهيم العصررين في مهمة الدين القادر على
التطور مع انحرافات الحضارة والمجتمعات ، هذا الدين بمفهومه
البشرى الزائف ، أما الإسلام بمفهومه الجامع (ديننا ومنهج حياة)
فإنه لن يقبل الاستجابة لأنحراف الحضارة منها وجد الغرب دعاء
من جلدتنا يطالبون بذلك خدمة لبقاء نفوذ من يدعون لهم *

إن الإسلام فيما عدا حدوده وضوابطه التي تختلف عن أهواء
التلמודية وعبادة العجل الذهبي ، فإنه مفتوح الأفق أمام قبول
كل ما من شأنه أن يدفع المجتمعات إلى الرقى والازدهار ، ولكن دون
أن يقر ما حرم الله *

ماذا يريد دعاة الاجتهاد في الأصول ؟ هل يريدون أن يهدروا نصا
من نصوص القرآن أو السنة ؟ أو يخرجوا هذه الأمة عن عقيدتها
القائمة على التوحيد الخالص ؟ أو يصهرها في بوتقة الأممية واتحاد
الأديان ؟ ، على النحو الذي تندعو إليه القاديانية أو البهائية (وفق
ما رسمته لهم الماسونية من قبل) هل نستطيع أن نقر هذا الأسلوب
في الكسب الحرام الذي نراه يغشى مجتمعاتنا اليوم تحت اسم
الاجتهاد في الأصول ؟ ، أو أن نقبل هذا التدمير لثروة المسلمين
في أسواق النخاسة وموائد القمار تحت اسم ما ينفع الناس ؟ إن
الذين يدعون إلى هذه المحاولات ظالمون لأنفسهم وسيعلمون الذين
ظلموا أى منقلب ينقلبون ، هم ومن يقلدون آراءهم ويروجونها
لتصل إلى أكبر عدد ممكن في صدورهم الشبهات وتزلزل عقيدتهم ،
وتدمير صلابتهم وتماسكهم في إطار الحلال وما أمر الله به *

إن محاولة استغلال نصوص في كتب الفقه والأصول ، على

نحو ما كتب « الباقلانى » « والشوكانى » و « الشاطبى » يجب أن تؤخذ بحذر شديد فهو لاء كانوا يعيشون مجتمعا إسلاميا مطبقة فيه الشريعة تماما ، ويحاول المحتدون إيجاد مخارج لبعض المسائل ، أما نحن الآن ، فالامر يختلف لأننا نعيش على أطراف مثل هذا المجتمع وهامشه ، وحتى نعيش مجتمع الشريعة المطبقة فإن الأمر يحتاج إلى الحذر والتخوف من دعوات تحملها أقلام لها أهداف وأهواء ، فهو لاء هم أولياء المستبددين والظلمة يحاولون أن يجدوا دورا جديدا لهم في هذا الموكب .

إن أخشى ما نخشاه على هذه الأمة هم بائعوا الفكر لكل من يطلبه وأصحاب الأقلام المستأجرة ، لكل من يرغب فيها ، وطلب المناصب والتربيز في منابر الأحزاب والصحف ، هؤلاء الذين كلما حدثتهم عن قضية إسلامية قالوا لك إنها ظاهرة عالمية ، فإذا حدثتهم عن الصحة قالوا إن العالم كله يعود إلى الدين ، فليكن ولكن الصحة تطالب بشيء آخر ، تطالب بالعودة إلى تطبيق منهج الله في بلاد ظلت تحكم بكتاب الله أربعة عشر قرنا حتى أخرجها منه أصحاب النفوذ الأجنبي وأعوانهم ، وإذا حدثتهم عن قضايا الشباب قالوا لك إن أزمة الشباب أزمة عالمية ، فليكن ، ولكن قضية الشباب في عالم الإسلام تختلف وليس داخله مطلقا تحت التعميم الكريه التي يحاوله دعاة النظريات الوافدة . كثيرون أولئك الذين يكتبون الآن باسم الإسلام ، أما الدخلاء فحسبنا الله منهم ، أما الأصلاء فإن أغلبهم يقصرون مفهومهم على القضايا العامة ولا يتلزمون بمنهج الإسلام في التطبيق ، سواء على أنفسهم أو ببيوتهم أو من يتصلون بهم ، إننا نفقد كثيرا ذلك النموذج القدوة ، الذي يبني الأجيال الجديدة ، هؤلاء الذين لا يريدون إلا وجه الله ، وقد هانت عليهم مطامع الحياة وزهدوا فيها .

إننا يجب أن نحرص على اليقظة في مواجهة محاولة احتواء الإسلام وحضاره من جميع الجهات ، هؤلاء الذين يدعون إلى يسمى الإسلام والغرب ، والحوار الإسلامي المسيحي ، والذين يدعون إلى وحدة الأديان ، والذين يزيفون التراث وتحاولون أن يسموا (القرآن والسنة) تراثا ، وقدما ، وماضيا ، وهو ليس كذلك إن القرآن والسنة لا يدخلون في مقوله التراث ، والذين يرتكبون التاريخ الإسلامي ويجردونه من روحه الدافقة بالإيمان والبذل والتضحية وبيع الأنفس والأموال لله ، والذين يزيفون اللغة العربية ويهدموها وينغلبون العamiات ، والذين يرجون للنظريات الزائفة المسمومة (البنوية والحداثة) والذين يعالجون المشاكل الاجتماعية والنفسية من خلال برامج وكلمات لا تعترف أبداً بمفهوم الإسلام الذي هو المخرج الحقيقى من الأزمات النفسية والاجتماعية ، يتوجهونه ويركزون على كتابات المتشكين في الأديان وفي الروح وفي المعنويات أمثل : ديوى دوركايم ، إن هناك محاولة ضخمة للإجهاز على تميز الشخصية الإسلامية يستخدم له بعض المسلمين ، دوراً أم لم يدرروا ، فهم لا تكفيهم التبعية التي يجري المجتمع الإسلامي فيها إلى غاية مجهولة ، ولكنهم يريدون القضاء على الجذور : جذور هذه الأمة وتقسيم آبار الصحوة الإسلامية حتى لا يعود للمسلمين وحدتهم الفكرية ولا تتكاملهم الجامع .

إن محاولة تمييع مفهوم الإسلام وصهره مع الأديان في بوتقة واحدة من أخطر المحاولات التي تتردد هذه الأيام إن الغرب يعرف تماماً أن نهضة المسلمين لا تبدأ إلا من نقطة إنشاء المجتمع الإسلامي على شريعة الله ، ولذلك فهو يقاتل في سبيل عدم تمكينه من ذلك . إن اعتماد حلو الغرب للمشكلات لن يصل بنا إلا إلى الفشل والمزيد والتبعية ، إن لنا مقاييس أساسية يدخل المفهوم المعنوي والروحي ، والإيمان والتضحية والبذل والغيرة والإحسان في جذورها ، لقد فشلت العلمانية والقومية والاشتراكية ، مهما جرت المحاولة لإعادة أحدتها فهي مرفوضة من الوجدان الإسلامي العميق الجذور بالوحدة الإسلامية .

المؤامرة على معطيات الصحوة الإسلامية

في مواجهة الصحوة الإسلامية تتحرك قوى كثيرة اليوم لتعوق هذه المسيرة ، أو تدفعها إلى متأهات ضالة أو دروب مسدودة ، ويزعجمم أن الإسلام يعود إلى مفهومه الصحيح في بلاده بعد أن حرفة مؤامرة التغريب أكثر من قرن ونصف قرن ، وإذا كانوا يشوهون الإسلام فإنهم يقصدون من ذلك أن يرفضه أهله ، وأن لا يصل إلى طلاب الحق في كل أمة وكل دين وكل عصر ، ومع ذلك فإن أهل الغرب قد فهموا حقيقة الإسلام من خلال الكتب التي هاجمته وزيفتها ، فهم الآن بين أمرين أحدهما مر ، ولذلك فإن مهمتهم أصبحت خطيرة ، ومن ثم يقتلون الآفاق من جديد لإثارة الشبهات والشكوك في الحقائق التي تققا العيون ، هذه الظاهرة الجديدة : الإعجاز الطبيعي في القرآن ومن قبلها الإعجاز الفلكي والكوني ، ومن قبلها اكتشاف فساد وجهة الحضارة وهزيمتها على أيدي المنظرين الغربيين أنفسهم لافتقادها البعد الرباني والبعد الأخلاقي ، وما يقدمه عالم خطير مثل « جارودي » الذي يتحدث عن عجز الحضارة العالمية عن العطاء بعد التصدع الذي أصابها ، وما قام به « بوکای » من فتح أبواب الكشف عن زيف الكتب القديمة وانحرافها ، وما يستطيع الإسلام أن يقدمه للقلوب العاطفة والنفوس المتطلعة ، وما استطاع من قدرة على اقتحام الوجود الغربي .

كل هذا يدفعهم بقوة إلى قطع الطريق على تطبيق الشريعة والهيلولة دون تمكين الأمم من تحقيق إرادتها والعمل على تشويه النصوص بأيدي مسلمين جرافيين ، يرون في عطاء الدنيا القليل المشوب

بالحرام دافعاً إلى مقاومة تصحيح المفاهيم المحرفة لل الفكر الاستشرافي ، والهجوم على السنة النبوية والحديث النبوي ، وتشويه التاريخ الإسلامي وتزيف الاستشهاد به للوصول إلى هدف التشكيك في صلاحية الشريعة للتطبيق .

هذا فضلاً عن الدعوة إلى القضاء على تميز الإسلام والقضاء على ذاتيته الخاصة بالدعوة إلى وحدة الأديان ، فضلاً عن الدعوة إلى إحياء المذهب الهدامة والفرق الضالة وإحياء دعوات جديدة كالنبوة الجديدة والبهائية والقاديانية .

كل هذه الحملة المسورة المشبوهة اليوم بأيدي كتاب لهم أسماء عربية وينتسبون إلى الإسلام تكشف عن مدى الزلزال الذي يضرب معاقل التغريب ، كما يكتشف في نفس الوقت عن هذا الولاء الخطير الذي يدفع بعض أهلنا إلى محاربة قيم أمتهم ، ومجدها ، من أجل القليل الزائل ، الذي يتسلط على النفوس تحت أسماء الأيديولوجيات والمذاهب البشرية ، والذي يحمل الأهواء المضلة المذلة .

وما يجد هؤلاء من جديد يثيرون به الشبهات في نفوس مثقفي المسلمين ، فما من شبهة من هذه الشبهات إلا طرحت من قبل عن طريق المستشرقين والبشرى ، ودحضها الأبرار من الدعاة والمصلحين وما من دعوى مداعاة اليوم إلا سبق إليها ذلك الرعيل من المغاربة الذين وصفوا بعميد الأدب ، وأستاذ الجيل ، والعلامة الحق ، حتى يجيء اليوم من يقول إن الإسلام ظاهرة اجتماعية نسجتها الأفكار البشرية ، وأن الإسلام قد اقتضم خارج حدوده في البحث في الطبيعيات والكونيات وأن يشير الماديون شبهات حول ما يجهلوه من أمر الوحي والنبوة . ومن ذلك التفكير للإسلام في مجاله

الاجتماعي والاقتصادي ، وإعلاء الفلسفة ودعوة الإسلام أن يخضع للتنظير الفلسفى وأن يسير في ركاب الفلسفة .

كل هذا يرددده كاتب ظالم لنفسه ، يقتسم البحث اقتداءً ما يلقى آخر ما عنده من سموه في وجه المسلمين ، وهو لا يدرى مسئوليته أمام الله وأمام التاريخ حين يضعه في قائمة الزنادقة والملحدين والضالين ، ولا ينفعه إزاء ذلك اسم لامع ولا صحفية كبرى ، ولا حماية هيئة ولا اعتناق مذهب ضال . إن طرح هذه الأفكار على هذا النحو في وجوه المسلمين وفي صحف مقروءة وبهذه الجرأة ، يوحى باضطراب الأعصاب الذي أصاب المراصد التغريبية لفشلها وانهيار خططها ، وهذا التركيز على أن الإسلام يقتسم حدوده — على حد قولهم — في البحث في الطبيعيات والكونيات سببه الانزعاج الشديد الذي أحدثته كشوف الإعجاز العلمي في القرآن ، والتي أدخلت في عامين متنالين وفي مؤتمرين متوالين رجلين من كبار رجال العلم إلى آفاق التوحيد ، أحدهما البرفسور « مورسون » الذي تجاهلت الصحافة العلمانية ووقفته في حل الختام ليعلن شهادة التوحيد ويدخل الإسلام في مؤتمر القاهرة ، وكذلك فعل الدكتور « تاجاتى باجسون » في مؤتمر الرياض .

أزوج هذا دوائر التغريب والاشراق ، فهذا هو الإسلام يعود فيقتسم الوجدان الغربي بعد أن قصر عنه الفكر العلماني المادي بنظرياته وأيديولوجياته ، وبعد أن تكشفت حقائق كثيرة أهمها : فساد النظرية التي قدمتها كتب عن الخلق والطبيعة والكون ، وصدق القرآن في عرض هذه الحقائق .

إن القاعدة التي ينطلق منها دعاة الفلسفة المادية التي يضعونها في درجة واحدة مع الإسلام ، وكبرت كلمة تخرج من

أفواهم ، هي قاعدة مغلوطة فليس الإسلام دينا بشريا على نحو ما درسوا في الغرب وفهموا من اللاهوت ، وهو شيء مختلف تماما عن ما عرفوه عن هذا العلم ، سواء في أديان الشرق أو أديان الغرب أو القديم منها أو الجديد ، إنه الإسلام : ذلك المنهج الرباني الذي ظل نصه الموثق محفوظا خلال أربعة عشر قرنا عن أن يعتوره الاضطراب بالإضافة أو الحذف ، وأنه وحده النص المقدس الوحدى الذي سلم من التغيير ، فهو منهج الله تبارك وتعالى إلى البشرية خاتما للدين الذي جاء به أنبياء الله من لدن نوح إلى محمد ، وما قدمه هو ما أرسى الله تبارك وتعالى به أنبياءه ورسله ، فجاء الإسلام خاتما لرسالة السماء ، وجاء محمد خاتما المرسلين ، وجاء القرآن خاتما للكتب ومهيمنا عليها .

وليس الإسلام ظاهرة اجتماعية كما ادعى « دوركايم » اليهودي منذ قريب ، وتابعه فيها عميد التغريب ، وهو ليس كالفلسفة التي هي صنع عقول البشر ، وليس كالآيديولوجيات التي صدمتها التغيرات فعجزت بالرغم من محاولتها تعديل مسارها ، وهو الإسلام الذي قدم للبشرية منهج الغيب (الميتافيزيقا) التي وصفها « زكي نجيب محمود » بأنها (خرافات) وما زال مصراً عليها ، تقابلها الأسئلة في كل مكان يذهب إليه لتتصك في وجهه وهو يدعى أنه يتحدث عن يقظة الإسلام ، وهل يستطيع من كتب (خرافات الميتافيزيقا) منذ أربعين عاماً وعاد مصرأً فجددها ، أن يكون بشير خير لنهمسة من ينكر أهم أسس عقيدتهم ؟ ، وهل يمكن أن يقبلوا منه ؟

أين هي الفلسفة التي يدعون أن لها منهاجاً يمكن أن يعطى بديلاً عن الدين ؟ الفلسفة الوثنية التي سماها اليونان (علم الأصنام) أم الفلسفة المثالية التي تشرك بالله ؟ ، أم الفلسفة

المادية المعاصرة بفروعها التي تجعل من شهوتى المعدة والجنس منطلقاً لذهبية الكبارين ؟ وأين هي (المعرفة الإنسانية) التي قدمتها الفلسفة وهي مترددة بين تقدير العقل ، وعبادة الجسد ، وثورة الجنس ، والاستعلاء بالعنصر الأبيض ، أو إيكار الوجدان والغيب وغير المحسوس ؟ ، هذه الفلسفة التي لم تستطع أن تسسلم للعلم التحريري بقبول عالم ما بعد الطبيعة ، ومضت في صلفها وفسادها لإخضاع الدراسات الإنسانية لفاهيم المادة والوثنيات !!

إن الذين يريدون أن يحاكموا الأمور على مفهوم أن الإسلام هو ظاهرة اجتماعية نسجتها الأوطار البشرية ، ظالمون لأنفسهم ، لأنهم يخدعون الناس أنفسهم ، فليس الإسلام شبيه بالأديان البشرية أو الأديان التي لم تقبل مفهوم التوحيد الخالص ، وإسلام الوجه لله والالتزام الأخلاقى والمسؤولية الفردية والجزاء الآخروى ، ولذلك فإن ما يقال في أفق الغرب كله يتعلق به وبتجربته الدينية منذ هاجرت المسيحية من الشرق وحرفت في الغرب ، وخلطت بالوثنية اليونانية والعبودية الرومانية ، ومن هنا فإن موقف الإسلام من العلم يختلف تماماً ، فإذا كان الدين في الغرب قد عارض العلم فإن الإسلام هو الذي أنشأ العلم في أفق المسلمين ، وهو الذي دعاهم إلى النظر في الكون ، وتقديم البرهان ، ومن هنا فإن مقوله القائل بأن الإسلام اقتحم خارج حدوده في البحث في الطبيعيات والكونيات ، هذه المقوله تخرس لها الألسنة ، لأن آفاق الطبيعة والكون في القرآن واضحه جليه منذ أربعة عشر قرناً ، وما سجله القرآن عن هذه القضايا جميعها يتكتشف اليوم يوماً بعد يوم ، برحلات الفضاء وكشوف الأطباء في جسم الإنسان ، وفي مختلف أمور الخلق والكون والحياة فإذا كان صاحب الدعوى مادياً منكراً للإسلام ، فهو منكر لأن القرآن من عند الله ، ومنكر للوحي ، وكل ما يقوله في هذا المجال باطل وزيف .

إن محاولة التفسير العلمي للقرآن ترجع هؤلاء وسادتهم
إزعاجاً شديداً ، وإن الحديث عن الكتب القديمة عن طريق العلم
تروعهم روعاً شديداً يرونها باباً واسعاً قد فتح لدخول رجال العقل
في الغرب إلى الإسلام بعد أن انتهى عصر (اتبعوني واطفء مصباح
عقلك) ومن هنا جاءت الدعوة إلى مطالبة الفقهاء أن يقطعوا الصلة
بين النصوص وبين معطيات العلم ليقف الدين عند حدوده اللاهوتية ،
هذا فهمهم ، ولكن القرآن يختلف ، وليس للإسلام حدود فهو يملك
النظرة الجامحة التي تجعل جميع عناصر الفكر والعلم أجزاء من
كيانه الإنساني الشامل ٠

«شبابنا المسلم في وجه الإعصار»

كان السؤال عن الظواهر المختلفة التي توحى بأن هناك محاولة عالمية واسعة النطاق لمحارب العالم الإسلامي وتطويقه حتى لا يتمكن من الانطلاق في طريق الصحوة الإسلامية ، والمتبع للأحداث يجد منها مؤشرات خطيرة يجب التتبّيه إليها وكشفها والتعرّيف بأخطارها ، حتى تبين القوى المضادة أن أهدافها مكشوفة وواضحة وأن المسلمين قد تجاوزوا مرحلة الغفلة عن المؤامرة ومرحلة الابهار بالدعوات الوافية .

ومن هذه الظواهر ما يلى :

أولاً : ظاهرة البهائية وتغلغلها الصامت في قطاع من المسلمين وتحولها من الدعوة المباشرة إلى أسلوب المكر والخداع تحت أسماء أخرى في مقدمتها التقديمية والعصرية ، وقد تكشف فيوضوح العلاقات الجذرية والعضوية بين البهائية وبين الصهيونية العالمية بوصفها إحدى مفرزات الماسونية العالمية بالمحافل الأخرى المعروفة ، وإذا كانت أهداف البهائية تتخفى اليوم وراء دعاوى عصرية يحمل لواءها أمثال «حسين أحمد أمين» و «زكي نجيب محمود» وغيرهما فإنها في النهاية تعارض مفهوم الإسلام معارضة تامة وتدعو إلى إلغاء الجهاد وإلى نوع آخر مختلف من الصوم والصلوة والحج ، وأنها تقدس الرقم ١٩ الذي يمثل القرن التاسع عشر الذي ظهر فيه البهاء .

وتكشف الوثائق البهائية - نفسها - قوة ارتباطها بالصهيونية وتأمرها مع الإسلام والمسلمين وقد ظهرت وثائق كثيرة تشير إلى

الرابطة العميقه بين الصهيونية والبهائية ، وقد عاش « عباس البهاء » في حيفا قبل خمسين عاماً وأعلن أن فلسطين ستكون موطنًا لليهود ، وترددت تصريحات كثيرة عن أن بين البهائية وإسرائيل روابط ووحدة مصير .

وما كتبه « حسين أحمد أمين » في دعوته إلى إنشاء برلمان إسلامي يتضمن ترديد أفكار البهائية بصورة أو بأخرى حين يدعو إلى : (١) مساواة الأنثى بالذكر في الميراث (٢) مساواة شهادة المرأة مع شهادة الرجل (٣) طرح الحجاب الإسلامي للمرأة (٤) تأليف البرلمان من مختلف الأديان والمذاهب والمشارب .

ثانياً : الدعوة إلى النبوة ، وظهور بعض المثقفين البارزين الذين يحملون لواء خداع الناس بأنهم أنبياء جدد ، وأنهم يحملون رسالات ودعوات ، وجود من يصدقهم ويقتنع بهم ومن قصرت ثقافتهم الإسلامية عن فهم حقائق الأديان ورسالات السماء والوحى ، والتيقن بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

ثالثاً : ظهور مجموعات من الأحمدية (القطور الثاني للقاديانية) في الأرض المحتلة يدعون إلى نبوة جديدة ويقيمون مسجداً يحمل لواء هذه النبوة الجديدة ، وللقاديانية تاريخ في الدعوة إلى الإلهية والنبوة ، وكانت الأحمدية قد أعلنت انفصالتها عن القاديانية خدعة للناس وتمويها حتى يمكنها أن تتطلق في دعوتها على نحو أقل مغalaة ، وقد كسبت موقع كثيرة في بلاد إفريقيا ، ولكن الشيء الخطير الجديد هو احتواء الصهيونية العالمية لها أخيراً .

رابعاً : جمعية الإسلام والغرب :

وقد انبثقت هذه الجمعية من خلال المؤامرة التي رتت منذ

سنوات للحوار بين الإسلام والغرب من أجل الحصول من كتاب مسلمين ذوى أسماء لامعة على اعتراف بأن المسيحية دين سماوى ، وذلك لإشهارها في وجوه الراغبين في الدخول إلى الإسلام من أهل

الغرب .

ومن ثم نبتت فكرة توسيع نطاق الحوار بين المسلمين والمسيحيين عن طريق جمعية الإسلام والغرب إلى حوار بين الإسلام واليهودية .

خامسا : ظهور نماذج من الشباب تؤمن بالفاسديم الوجودية المادية الإلحادية التي ترى في قتل الأب والأم تخليصا لهم من الحياة في عالم لا يستحق الحياة يرجع ذلك إلى انتشار عديد من الكتب المسمومة التي ترجمت عن ملاحدة الغرب ودعاة الإباحية والكشف .

سادسا : ظهور طائفة من الشباب تقوم بتقليد أفلام الجنس والجريمة ، وذلك بالتصدى للفتيات والمعابثة والاغتصاب على النحو الذي يجري في الأفلام الأجنبية الكثيرة التي تسرف أدوات التقنية والترفيه في عرضها .

سابعا : انتشار مفهوم التربية الغربي الوارد الذى يتلخص فى إطلاق حرية الفتى والفتاة فى الحياة الاجتماعية وعدم حمايتهم أخلاقيا أو دينيا على النحو الذى يدفعهم إلى مرافقة فتيات أو فتيان تحت اسم الحب والخطوبة الكاذبة واستعمال وسائل الإغراء التى تفقد الفتيات هويتهن وكرامتهن .

ثامنا : انتشار الهرويين والمخدرات فى محيط الشباب على نحو مخيف مما يدفع إلى تدمير مجموعات الشباب ، عماد هذه الأمة ،

وانهياره والحلولة دون قدرته على القيام بواجبه في بناء المجتمع
(١٩٠ ألف مدمn لأنواع مختلفة من المخدرات)

تاسعا : الاختلاط في التعليم والعمل وعدم حماية الفتاة من
أخطار الإغراء والخداع ، وبروز ظاهرة الرقص في برامج
التليفزيون على نحو مثير واتساع نطاق القصة المكشوفة لكتاب
تفتح لهم الصحف أبوابها ، وتقديم مفاهيم منحرفة وأعراف
مضطربة لا يقرها الإسلام في العلاقات بين الرجل والمرأة والزوج
والزوجة والأب والابن .

عاشرا : سلاح (الكاسيت) المفزع وظهور أشرطة الفيديو
المكشوفة وتيسير الحصول عليها وخطر عرضها بين الأسر وأمام
الفتيات والزوجات على ما بها من مناظر الالقاء الجنسي الفاضح ،
وأثر ذلك النفسي على الشباب والفتيات على السواء .

حادي عشر : العجز الواضح أمام الطريق الصحيح للعلاقات
الشرعية بين الشباب من انحراف الآباء والأمهات من ناحية ، أو من
العجز عن تيسير عقد الزواج أو الحصول على مسكن للزوجية مما
يضاعف اضطراب المجتمع بقيامه علاقات يائسة بين الشباب
والفتيات على أساس الخداع وترجية الفراغ ، مما يدفع إلى تدمير
البكارة نظراً لأنغلاق الطرق أمام قيام علاقات طبيعية بين الفتى
والفتاة عن طريق الاتجاه الشرعي الصحيح ، ولا ريب أن للأفلام
الجنسيّة أثراً في رفع نسبة هذا الهياج العاطفي واضطرابه .

ثاني عشر : هذه المطبوعات المشبوهة التي توزع والتي كتبت
بجميع اللغات ، وتعليم اليوجا والدعوة إلى أن كل شيء له أصل
في الفرعونية ، وكتب السحر والخرافات والدراسات الواسعة عن
الأساطير والمؤثرات الشعبية ومؤتمراتها كل هذا يخفى من وراءه

حرباً عنيفة للإسلام . ولا ريب أن الكتاب الجنس أثراً واضحاً في هذه المخاطرات التي يمر بها هذا المجتمع ، وأن هناك كتاباً تخصصوا فعلاً منذ سنوات طويلة في هدم الشخصية الإنسانية أخلاقياً ، وتدميراً ، وأصابع الاتهام تشير إليهم ، وهم في هذا يحققون أهداف « بروتوكولات صهيونية » بالقضاء على الجيل الشاب المسلم المعاصر وهدمه وتدميره .

ولا ريب أن الحلول التي قدمها العلمانيون لواجهة هذه الأخطار كلها غير كافية وغير حاسمة ، وأن هناك منطلقاً واحداً لتصحيح هذا الطريق وللقضاء عليه هو التماس منهج الإسلام .

إن أفلام الجنس والجريمة هي التي فتحت الباب واسعاً أمام الشباب الذي لم يكن محصناً بثقافة إسلامية أساسية تحول بينه وبين الانخراط في الفساد والتحلل ، لا يحسن أن نراجع أنفسنا وندرس مصدر الخطر الحقيقي حين نجده في (الصحافة – وسائل الترفيه – قصور التربية في مجال التعليم – غياب القدوة في المنزل والمدرسة والشارع) ؟

إن ظاهرة الانحراف التي تبرز واضحة في مجتمعنا اليوم ، من خلال هذه الظواهر المختلفة تؤكد أنها ظاهرة حقيقة لها جذورها ، ومهمها حاولت أفلام مختلفة اقتراح الحلول فإن هناك حللاً واحداً وطريقاً واضحاً لا سبيل غيره هو (أسلمة المجتمع) .

أولاً : بناء نظام تربوي إسلامي جديد يختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن النظام التعليمي الغربي الذي يطبق الآن ، يقوم على أساس الأخلاقية الإسلامية والمسؤولية الفردية ، ويفرق في التعليم بين تعليم الرجال وتعليم النساء .

ثانياً : إعداد المجتمع إعداداً تاماً لقيام المنهج الإسلامي في المعاملات التجارية والاجتماعية .

ثالثاً : بناء القوانين الجديدة على أساس الإسلام الذي تختلف منطلقاته عن منطلقات القوانين الغربية ، التي قامت في مجتمعات لها طابع وثنية ومادية وإباحية ، تختلف عن مجتمع التوحيد الإسلامي ، ولذلك فإن إصلاح القوانين الحالية مع الإبقاء على منطلقاتها يجعلها قاصرة على تحقيق النهضة الإسلامية المرجوة ، ويمكن للمفهوم الغربي من الاستمرار مرحلة أخرى .

إن هناك قوى كبرى ت يريد أن تستبقى طابع التغريب على قوانينا وتحول دون أن نتحرر تماماً من هذه البنية ، ولا ريب أن حركات دعوى النبوة والبهائية والروتاري وغيرها ، كلها مؤشرات لخطط كبير يجري تحريكه ، بقوة لهم مقومات هذه الأمة ، ولابد أن القوى الوطنية واعية لذلك وأنها قادرة على كشفه وإفساده .

وإنني أحمل الصحافة القومية أكبر التبعات في الأخطار التي تحيط بالمجتمع المصري ، فهي من خلال كتابات بعض الكتاب اللامعين ، وإعلاناتها (التي تفرض فكراً وافداً مدفوع الثمن – وكاريكاتيرها) توجه من وراء الوعي إلى الانحراف ، وتعطي هذا الانحراف طابع الشرعية والقبول ، فهي إن كانت في مظهرها في خدمة أهداف الوطن فإنها تخفى هويتها التغريبية وراء الأبواب الأخرى : كالسينما والمسرح والكرة وصفحة الأحداث (الجرائم) والأعمدة ، فهي تعرض مخططها من خلال تصورات ساخرة أو منقوله من صحف أجنبية أو من كتابات وجوديين وإلحاديين في أعمدة الرأى ، وبذلك تمضي إلى غايتها دون أن تبدو وكأن لها هدفاً آخر غير المهدى القومي ، ولقد قدمت كتابات « أنيس منصور » وقصص « إحسان عبد القدوس » و « نجيب محفوظ » وإيماءات « توفيق الحكيم » و « وزكي نجيب محمود » و « حسين أحمد أمين » إيماءات واضحة لأهداف ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	— المدخل
٧	— العودة إلى المنهج الإسلامي الرباني
١٢	— منهج جامع متكامل تكامل الإنسان نفسه
١٧	— عطاء الإسلام وتراث الغرب
٢٢	— كيف يفهمون الإسلام المعاصرة
٢٧	— أصلالة الصحة
٣١	— المشروع الحضاري الإسلامي
٣٥	— العودة إلى المنابع لا « التقوير »
٣٨	— البناء على الأسس
٤٢	— فوارق عميقة بين المنهج الرباني والمنهج البشري
٤٧	— أضواء منهج الإمام الغزالى بعد تسعمائة سنة
٥١	— لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من كل جوانبه
٥٤	— احذروا بدائل الإسلام
٥٨	— نحن أساتذة الغرب ولن تكون تلاميذه

الصفحة	الموضوع
٦٣	— مؤامرة الصمت
٦٧	— لن تعود تجربة القومية
٧١	— المواجهة مع الغرب لن تتوقف
٧٥	— أخطر مؤامرة تعرض لها الإسلام في العصر الحديث
٧٧	— هذه هي العبرة
٧٩	— عودة إلى طريق القرآن
٨١	— تمييز الإسلام عن المذاهب والعقائد
٨٤	— نقول للداعية إلى الله
٨٥	— الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع
٨٨	— لنعرف مصادر الخطر ونتحامها
٩٠	— ضوء الفجر
٩٣	— بين الوحدة البشرية والتمايز الثقافي
٩٤	— إعادة صياغة المجتمع الإسلامي من جديد
٩٨	— مسؤوليتنا إزاء الأجيال الجديدة
١٠٣	— عصر القرآن

الصفحة	الموضوع
١٠٧	— الإسلام في عصر القرآن
١١٢	— المطلق
١١٨	— إعادة كتابة العلوم ودوائر المعارف
١٢٤	— لماذا لا يكون الأدب العربي المعاصر عالياً
١٢٨	— المؤامرة على معطيات الأصالة
١٣٤	— المؤامرة على معطيات الصحوة الإسلامية
١٤٠	— شبابنا المسلم في وجه الإعصار

رقم الإيداع ٨٧/١٥٦٧

الترقيم الدولي ١ - ٨٣ - ١٤٣٠ - ٩٧٧

مطبعة عبّير للكتاب والأعمال التجارية

١٦ ش لمى المطيني - حدائق حلوان

ت : ٦٨٨٤٨٤

قضية هذا الكتاب

إن الرابط بين الأصالة والمعاصرة إنما هو ربط بين علاقتين هما علاقة الزمن وعلاقة التاريخ . وال المسلمين يعيشون عصرهم بمفهومهم الإسلامي الذي لا يضحي بالقيم ولا بالمنابع ولا بالأسس التي قامت عليها عقيدتهم وكيانهم ، وهم قادرون أن يعيشوا العصر على أساس الالتزام بالأصالة .

فهم في إطار الأصالة يملكون حق الاختيار ، فلا يفرض عليهم من الغرب شيء ، ف حاجتهم الأساسية كلها في العلوم والتكنولوجيا .. يأخذونها مادة خاماً ويصهرونها في إطار وجودهم وعقيدتهم . والأصالة تقتضي منهم العودة إلى الأصل والمنبع ، إلى الأساس الأصيل والقاعدة الإسلامية الأساسية التي بُني عليها هذا المجتمع منذ خمسة عشر قرناً ، بحيث توضع تلك القاعدة في مكان الحكم والاحتكام .

... بهذا يدخل المسلمون مرحلة المعاصرة في ضوء كاشف هو الأصالة .

دار الصحوة

حدائق حلوان بجوار عمارات المهندسين

ت : ٦٨٨٠٧١